بين حربين

- ١ -

عندما ادركت الحرب غايتها ، الفت الحكومة البريطانية نفسها امام عدد من المشاكل المعقدة المتعلقة بالشرق الاوسط • وكانت الظروف التى تكتنفها يومذاك تقضى بتأجيل البت بتلك المشاكل مع ادراكهـــا ان الزمن سيزيدها تعقيدا • فثمة وعود لا مناص من تحقيقها ، وهناك فرقاء لابد من استشارتهم ، ان اريد التوصل الى حلول ترضى جميع من يعنيهم الامر • يضاف الى ذلك ان ليس من اليسير تطبيق نظام الانتداب ، قبل ان يجمع الحلفاء كلمتهم على اصوله • وان الحكومة البريطانية ملزمة بتعويض دول رابطة الشعوب البريطانية عما بذلته من تضحيات وجهود ، وبالتالى لم يكن من السهل على الحكومة البريطانية التنازل الى غيرها من الدول ، عن الوضع الخاص الذى فازت به بعد الحرب • وكانت الرغبة يومذاك ملحة بسحب الجنود البريطانيين من الاقطار المحتلة ، وبتسريحهم تخفيفا لوطئة الضرائب عن دافعيها • مع العلم انه كان لهذا العمـــل أثر عكسى فى بعض الاقطـــار المحتلة • فما ان سحبت الجيوش من العراق حتى اتقدت نار ثورة عام ١٩٢٠ ، فاضطرت الحكومة البريطانية الى ارسال جيوشها الى العراق ثانية لاخماد

تلك الاضطرابات • ومما زاد فى الامور تعقيدا ان الحكومة كانت مضطرة الى تنفيذ رغبة الشعب العامة ، تلك الرغبة التى كانت تطالب بالاقتصاد فيما ينفق على اقطار الشرق الاوسط ، حتى وان دعى ذلك الى سحب جميع القوات من العراق وفلسطين • وقد عهدت هذه المهمة الشاقة الى المستر شرشل ، الذى كان يومذاك وزيرا للمستعمرات • فاحدث دائرة خاصة لهذا الغرض سميت « بدائرة الشرق الاوسط »[1] • وفى عام ١٩٢١ عقد مؤتمر فى القاهرة ضم جميع الخبراء بشؤون الشرق الاوسط من البريطانيين، فانبثقت تصاميم مستقبل العراق وشرق الاردن من مقررات ذلك المؤتمر •

وتنفيذا لسياسة الاقتصاد بالنفقات ، تقرر فى ذلك المؤتمر ان ينقل أمر استتباب الامن والنظام فى اقطار الشرق الاوسط ، من عهدة وزارة الحربية الى وزارة الطيران • ويعود الفضل فى هذا التدبير الى لورنس ، الذى كان اول من ادرك ان قوة جوية قليلة تسندها بضعة سيارات مصفحة تكفى للقيام بمهمة جيش الاحتلال ، وتكون اقل كلفة منه بكثير • وقد اثبتت الحوادث ان هذه القوة القليلة ، كانت تعجز عن تأمين النظام فى البلاد ، مع انه كان فى استطاعتها صد أى عدوان من الصحراء • ففى فلسطين مثلا وجدت السلطة الادارية نفسها عاجزة عن القضاء على الحركة العربية فى عام ١٩٢٩ ؛ مما اضطرها الى الاستعانة بجيوش ارسلت اليها من اقطار أخرى •

ويتمثل كفاح الشرق لمقاومة كل سيطرة أو تدخل بشؤونه من قبل الغرب ، احسن تمثيل فى الحركات التى ظهرت فى الشرق الاوسط خلال هذه الحقبة من الزمن • فلا غرابة اذا ما اظهر سكان قبرص اليونانيون وهم يؤلفون اربعة اخماس سكان الجزيرة ، ميلا معاديا نحو بريطانيا • فان

---

(١) Middle East Department.

ما كان يبدونه من امتنان وشكر فور زوال الحكم التركي عن جزيرتهم ، تبدد وتلاشى بعد ان اهملت شؤونهم ولم يكترث الى ما يجب تحقيقه من مطاليبهم ، في وقت تبدو فيه مغريات الاتحاد مع اليونان جذابة وبراقة . مثل هذه النزعة ظهرت لدى العرب ، الذين تحرروا من السيطرة التركية ، نتيجة للمجهود الحربي الذي بذله الحلفاء ، فأخذوا يتوسلون بالوسائل ذاتها التي غذاهم بها الحلفاء للتغلب على اعدائهم الجدد . فالحرية والديمقراطية وحق تقرير المصير ، التي كانوا يطالبون الحلفاء بها لم تكن الا مبادىء لقنها اياهم الحلفاء عندما كانوا يكافحون الاتراك من اجل خلاصهم . ومما زاد في عنف تلك المطاليب ، اعلان نظام الانتداب في ثلاثة من الاقطار العربية ، التي كانت تتوقع الحصول على الاستقلال التام . فكان لذلك الاعلان اثر رجعي في نفوسهم . وكان الحلفاء يهدفون من نظام الانتداب ولا سيما انتداب صنف « آ » ، املاء الفجوة بين الاستقلال والاستعمار . وهكذا طبقت اصناف الانتداب ، باختلاف درجاتها ، في كل من فلسطين وبضمنها شرق الاردن ، وفي سوريا ولبنان ، وفي العراق ، القطر الذي اعترف له بالاستقلال ، على ان يقتصر عمل السلطة المنتدبة على المشورة الادارية والمساعدة ، ريثما يتسنى لابنائه الوقوف على أرجلهم . ومما أغضب العرب على نظام الانتداب ، انهم كانوا يأملون أن يجنوا من موقفهم في الحرب اكثر مما قدر لهم ، وهذا ما جعلهم يفسرون كلمة « الانتداب » اسوء تفسير . ولا ريب ان قضية فلسطين اثارت في نفوس العرب عداءا عنيفا نحو الدول المنتدبة . سيما وان التزامات الدولة المنتدبة بالنسبة للهجرة اليهودية ، والى تأسيس الوطن القومي اليهودي ، ابعدت اليوم الذي تستطيع فيه فلسطين « الوقوف على أرجلها » بعدا لا حد له .

واذا ما سخط العرب على نظام الانتداب فيكفى انهم استفادوا منه فائدة كبرى هى تخلصهم من الامتيازات الاجنبية • فان الاصلاحات التى قامت بها سلطة الانتداب فى النظام الادارى والنظام القضائى كفلت العدل فى هذه الاقطار وأوجدت نظاما حكوميا رصينا • بعث الاطمئنان فى نفوس الدول ذات المصالح ، وبضمنها الولايات المتحدة ، فلم تعارض فى الغاء الامتيازات الاجنبية • بينما لم تتحرر تركيا من تلك الامتيازات الا بعد عقد معاهدة لوزان ، وبقيت ايران تعانى تلك الامتيازات حتى عام ١٩٢٨ • وآخر من تحرر من شرورها مصر ، وتم لها ذلك بعد عقدها معاهدة ١٩٣٧ •

ومع ان حكومة الولايات المتحدة الاميركية لم تكن عضوة فى عصبة الامم ، فانها طالبت ان يكون لها ، ولمواطنيها فى الاقطار التى اخضعت لنظام الانتداب صنف « آ » ، الحقوق ذاتها الممنوحة الى رعايا الدول الاعضاء فى العصبة • وقد منحت الولايات المتحدة هذه الحقوق لانها كانت عنصرا هاما فى انتصار الحلفاء فى حربهم مع الدول المركزية ، ولانها طالبت بنشر مسودة نصوص الانتداب قبل اقرارها من قبل مجلس العصبة • والرغبة الخاصة التى اظهرتها اميركا لانهاء المشكلة اليهودية دفعتها الى الموافقة على منح بريطانيا سلطة الانتداب على فلسطين ، وكانت مدفوعة فى موافقتها تلك بدوافع سياسية ودينية وانسانية • واشترطت الولايات المتحدة الاميركية لاعترافها بانتداب بريطانيا على العراق ، نقل ربع اسهم شركات النفط فى بغداد والموصل الى مؤسسات النفط الاميركية • ويعد هذا الشرط فاتحة تدخل الاميركان فى اعمال شركات النفط فى الشرق الاوسط • وقد تطورت نسبة مساهمة الشركات الاميركية فى امتيازات النفط فى اقطار الشرق الاوسط ، خلال السنوات المتأخرة ، حتى اصبحت تتراوح بين ٢٥ ٪

و ١٠٠ ٪ ، اذا ما استثنينا اسهم شركة النفط الانكليزية الايرانية • واخذ ذلك التحول في أول أمره ، مظهرا تجاريا ، ولم تتضح اهميته الاستراتيجية الحربية ، الا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية •

ولم تظهر روسيا السوفياتية على مسرح السياسة في الشرق الاوسط مظهر روسيا القيصرية • ومرد ذلك انه لم يكن ثمة تمثيل سياسي بين الاتحاد السوفياتي والدول العربية ، عدا المملكة العربية السعودية واليمن • وحتى في هاتين المملكتين اغلقت المفوضيات الروسية ابوابها عام ١٩٣٨ ، واتجهت السياسة السوفياتية بالنسبة الى تركيا اتجاها كريما ، فأعادت اليها مقاطعات قارس واردهان ، الولايتين اللتين احتلهما الروس عام ١٨٧٨ • وبعد أن فشلت محاولة اقامة حكومة سوفياتية في شمال ايران ، عقدت الحكومة السوفياتية معاهدة مع ايران عام ١٩٢١ ، تلك المعاهدة التي وان لم تكن ذات منافع لايران ، كما تبدو من شكلها ، كانت تعتبر تطورا في العلاقات الايرانية الروسية • فقد سحبت الجيوش الروسية من ايران بعد التوقيع على تلك المعاهدة • وعندما كانت تركيا الوطنية تكافح النتائج المتأتية عن التداعي العسكري ، الذي حدث عام ١٩١٨ ، تقدمت روسيا لمعونتها بوصفها صديقتها الوحيدة • ولكن بعدما تحسنت العلاقات الانكليزية التركية في عام ١٩٣٠ ، اخذت نار الصداقة الروسية التركية تخبو • وبعدما قضى رضا شاه على الدعايات السياسية في ايران ، انتقل التأثير الروسي الى الميادين التجارية ، وتوسع ذلك النفوذ حتى سيطر على أهم اسواق ايران ولا سيما بعد نفوذ الدعاية الالمانية الى ايران قبيل الحرب العالمية الثانية •

وظلت المانيا محتفظة بمصالحها في الشرق الاوسط حتى في الايام التي سبقت اندحارها في الحرب • واحيت في عهد هتلر سياسة الاتجاه

نحو الشرق معتبرة ان تركيا وايران والعراق من مناطق نفوذها ، وان مصر وسوريا وفلسطين من مناطق نفوذ ايطاليا • وقد بذلت الدولتان مبالغ طائلة وعناية كبيرة من اجل نشر دعاياتها ؛ فدعت الدولتان الكثير من شباب اقطار الشرق الاوسط لاكمال دراساتهم فيها ، على حساب الحكومتين الالمانية والايطالية ؛ أو لاجل القيام برحلات علمية فى البلدين • وقد عاد اولئك الشباب الى اقطارهم وهم مثقلون بالانطباعات الحسنة عن النظام الجماعى[1]، متأثرين بمظهره اكثر من تأثرهم بحقيقته • على انه مما لا ينكر ان حكومات اقطار الشرق الاوسط كانت اقل تأثرا بالدعاية الجماعية ، ولهذا صمدت بوجه المانيا وايطاليا ؛ وزاد فى صمودها غزو ايطاليا الى الحبشة ، ذلك الغزو الذى كشف النقاب ، عن نوايا تلك الدول • وكان من نتائج تهديدات موسوليني لحكومات الشرق الاوسط ، ان عقدت المعاهدة المصرية الانكليزية عام ١٩٣٦ ، وعقدت اتفاقية ايران ـ العراق بشأن شط العرب والحدود الفاصلة بين البلدين •

وأثار غزو الايطاليين للحبشة ، وبذلهم الجهود للسيطرة على ساحل البحر الاحمر ، مخاوف الحكومة البريطانية • فاسرعت الى عقد الاتفاقية الايطالية الانكليزية عام ١٩٣٧ ؛ وكانت تهدف من وراء تلك الاتفاقية ، القضاء على أى احتكاك يقع بين البلدين ، فى مياه القسم الشرقى من البحر المتوسط والبحر الاحمر • ومما نصت عليه تلك الاتفاقية تبادل المعلومات عن حركات جيشى الحكومتين ، وعلى الا تؤسس قواعد جوية أو بحرية فى مناطق معينة من الاقليم ، الا بعلم الطرفين المتحالفين • وقد اعلن الفريقان المتعاقدان ، ان مصلحتيهما تقضى بالا يتدخلا بشؤون المملكة العربية

---

(١) Totalitarian Régime.

السعودية أو اليمن ، بحيث تصير لاى منهما مكانة ممتازة فى أحد القطرين • كما ان الدولتين المتفقتين ، لن تسمحا لاية دولة أخرى بان تحتل تلك المكانة فى ذلك القطرين • وحتمت أن تتوقف الدعايات المضرة التى يبثها احدهما ضد مصالح الاخر • وفور التوقع على ذلك الاتفاق ، توقفت محطة رادية بارى عن اذاعة دعاياتها العربية ، ومع ذلك فقد استعيض عنهـــا حالا باذاعـــة برلين العربية •

ولم تكن علاقة بريطانيا بالشرق الاوسط مما ترضى الفرنسيين • فقد اعتبر الفرنسيون تأسيس دولة عربية فى دمشق لعبة انكليزية ، يقصد منها التضييق على المصالح الفرنسية ، وتخفيف العبء عن الانكليز ، ليتسنى لهم التغلب على ما كانوا يلاقونه من مشاكل سواء كانت ناجمة عما كانوا ينتهجونه من سياسة خاصة ، أم عن الصراع بين الشرق والغرب ؟ الصراع الذى كانت تعانى انكلترة ما تعانى فرنسا منه • ومما زاد فى مخاوف الفرنسيين ان عددا من الصحف الانكليزية ، ذات الكلمة المسموعة ، كانت تلمح فيما تنشره من مقالات ، الى ان السياسة التى تهـدف الى تحقيـــق اغـراض الصهيونية ، ستلاقى طريقا سهلا اذا ما طبقت فى اقليم يشمل سوريا وفلسطين •

ومما لا ينكر ان الدوافع القومية التى دعت الى انسلاخ العرب عن جسم الدولة العثمانية ، هى ذاتها التى فرقت بين الاقطار العربيـة • فقـد قسمت معاهدة الصلح البلاد العربية الى دويلات منفصلة عن بعضها البعض • حتى الهلال الخصيب ، قسم الى ثلاثة دول ، هى سوريا وفلسطين والعراق ؛ كل منها أخضع الى صنف من أصناف الانتـداب ، ولدولة من الدول • واكثر من ذلك ان سوريا وفلسطين قسمت الى اجزاء صغيرة اخرى • وكأنما حكم على هذا الاقليم ، بالتجزئة والتقسيم ، نتيجة للصـــراع بين

السعوديين والهاشميين ، ونتيجة لما ظهر من اختلافات محلية بين سكان هذه الاقطار • ومما لا ريب فيه ان اخضاع قسم من هذه الاقطار الى الانتداب البريطاني ، وقسم آخر الى الانتداب الفرنسي ، وضع حدودا اعتبارية غير طبيعية ، لم يراع فيها الاحتياجات الاقتصادية لكل منها ، وساهم في توسيع شقة الخلافات المحلية بينها • ومما جسم تلك الاختلافات ، فرض الحواجز الكمركية ، واستعمال جوازات السفر ، والتأشيرات القنصلية ، واحداث وزارات للشؤون الخارجية في كل منها •

على ان ثمة عوامل كانت نشطة لمقاومة تلك الاختلافات منها اصلاح طرق المواصلات البرية بين تلك الاقطار • واهمها الطريق الصحراوي عبر فلسطين فسوريا فالعراق الذي قامت بفتحه شركة نيرن البريطانية • فساهم هذا الطريق في تشجيع حركة السفر ونقل البضائع عبر الحدود المفروضة على هذه الاقطار • وضاعف الاتصال بين ابنائها ايجاد شبكة للخطوط الجوية تربط أهم مدنها • ومما يجب الا ينسى ان الحكومة البريطانية ظلت سنوات عديدة تكافح من اجل تخفيف حدة الصراع بين ابن السعود وجيرانه في الشمال ، حتى وفقت أخيرا لاقناع الطرفين الى عقد اتفاقية تنظم استغلال العشائر لمناطق الرعى ، وتعالج مشاكل الحدود بين البلدين • ولما وجد انه من المتعذر التوصل الى عقد اتفاق كامل بين المملكة العربية السعودية والعراق ، وبين المملكة العربية السعودية والكويت ، احدثت مناطق محايدة بين حدود كل من هذه البلاد • وبعد ان اوحت الحكومة البريطانية بفكرة الجامعة العربية تركت لهم أمر تشكيلها فرحبوا جميعا بتلك الفكرة وساهموا في بناء مختلف مراحلها • وكانت السبب المباشر للتقارب بين الحكومات العربية ومقاومتهم المشتركة للسياسة الصهيونية •

- ٢ -

ومع ان الصلح مع تركيا تم عقده فى لوزان عام ١٩٢٣ ، وان مشكلة الموصل ، على ما كانت عليه من تعقيد حلت عام ١٩٢٥ ، فان العلاقة الحسنة لم تتوطد بين بريطانيا وتركيا الا بعد مضى وقت طويل • فكان التعامل مع الاتراك فى بادىء الامر ، تحفه المصاعب لانهم هم الذين املوا شروط الصلح على الدول الاخرى ، ولانهم الغوا الامتيازات الاجنبية فى البلاد دون استشارة أحد • وتخفيفا لحدة التأزم بين بريطانيا وتركيا اضطرت بريطانيا الى الانسحاب من القسطنطينية ، والى التخلى عن مساعدة اليونان ، والى الكف عن مطالبة الاتراك ، لنفى عدد من رجالاتهم لسوء معاملتهم اسرى الحرب البريطانيين أو لتقتيلهم وتعذيبهم المسيحيين العثمانيين خلال سنوات الحرب • وكما كان متوقعا فقد الاجانب فى تركيا المكانة الممتازة التى كانوا يتمتعون بها سابقا ، واصبحوا يعاملون معاملة ملؤها التعصب والمقت بالنسبة للمعاملة التى يلقاها الاتراك • ولا ريب ان البريطانيين لم يعاملوا بقسوة اكثر من معاملة غيرهم من الاجانب • ولكن وطأة التدابير التركية الجديدة كانت اكثر شدة على البريطانيين ، لانهم كانوا على العموم اغنى من غيرهم من الاجانب ، كما كانوا يحتلون منزلة ممتازة بينهم • فكان من نتائج تلك التدابير ان تقلص عدد الاسر البريطانية المنعمة التى كانت تعيش فى استنبول وأزمير ؛ كما فقدت جزءا كبيرا من ممتلكاتها وثرواتها • فقد دمرت الحرب بعض تلك الممتلكات وصادرت الحكومة التركية بعضها الاخر • ان القوانين الجديدة التى أوحتها القومية التركية المتطرفة ضيقت الخناق على المصالح الاجنبية بوجه عام • فمن أمثلة ذلك ان احد المصارف البريطانية هدد بالغلق لانه تردد فى تنفيذ القانون

الذى كان يحتم تعيين نصف عدد موظفيه من الاتراك المسلمين ؛ وان اربعين شركة بريطانية للضمان اضطرت الى الغاء فروعها فى تركيا ، وان مديرة احدى المدارس الثانوية الانكليزية للبنات بمدينة استنبول اودعت رهن التحقيق ، وكادت المدرسة تسد نهائيا ، لان المديرة المذكورة رفضت قبول مدرس تركى عينته وزارة المعارف • وقد اطلق سراح المديرة بعد ان اقتنعت وزارة المعارف بعدم صلاح ذلك المدرس •

وكان من نتيجة تشريع قانون العمال التركى ، ان سدت ابواب الرزق بوجه كثيرين من الاجانب ، حتى ان المالطيين فى تركيا الذين يحملون جنسية بريطانية اخرجوا من اعمالهم وظلوا عاطلين عن كسب رزقهم • وقد استوطنت غالبية المالطيين تركيا منذ اجيال ، ولهذا تعذر عليهم العودة الى مالطا ، فاضطروا الى البقاء فى تركيا محرومين من اسباب العيش ، اللهم الا مما تقدمه اليهم حكومتا بريطانيا ومالطا من مساعدات •

واخذ التحسن فى العلاقات البريطانية التركية يظهر عند بدء عام ١٩٣٠ • ويعزى هذا التحسن الى بعد نظر الرئيس اتاتورك ؛ فانه ادرك بثاقب رأيه ان بريطانيا وان وقفت بوجه الحركة الوطنية عندما طالب حلفاء الاتراك التحكيم ، وانها ساندت العراق عندما طالب بضم الموصل اليه ، ترغب فى أن تكون تركيا قوية مستقلة ، وفى وضع اقتصادى طيب • وقد استمرت العلاقات الحسنة بين البلدين وأخذت مظهرا جديدا • فاتخذت اللغة الانكليزية لغة ثانية للتدريس عوضا عن الفرنسية ، وتوصل الطرفان الى ايجاد حلول للمشاكل المالية المتعلقة بين البلدين ، وارسلت بعثة من الضباط الاتراك للتدريب فى انكلترة • ومع ذلك فان هذا الاتجاه الجديد لم يحول دون تشديد الاتراك فى مطالبتهم شراء اسهم الشركات الانكليزية فى المؤسسات

الاقتصادية التركية • وكانت شركة التلغراف الشرقية آخر تلك المؤسسات التى يسيطر عليها المساهمون الانكليز ، فانها انهت اعمالها وانسحبت من تركيا عام ١٩٣٢ •

وقد اظهرت بريطانيا نواياها الحسنة اجلى ظهور فى مؤتمر منترو عند بحث مشكلة المضايق عام ١٩٣٦ ، عندما اقر المؤتمر حلا لهذه المعضلة لا يؤمن المصالح البريطانية كل التأمين ، كما كانت تتطلبه السياسة التقليدية • فقد طالبت الحكومة التركية مرارا الغاء المواد التى تقضى بتجريدها من السلاح من معاهدة لوزان ، ولكن طلبها لم يلب الا عندما تحدى هتلر الحلفاء واحتل اقليم الراين ، وعندما تحدت ايطاليا عصبة الامم واضافت الحبشة الى ممتلكاتها • عند ذاك ادرك الحلفاء ان تركيا كانت محقة فى مطاليبها ، ولا محيص من الاسراع فى تلبية تلك المطاليب • ولا ريب ان النتائج التى توصل اليها مؤتمر منترو كانت تلائم المصالح الروسية اكثر من نتائج أى مؤتمر دولى آخر ، منذ ان الغيت المعاهدة الروسية التركية المعروفة بمعاهدة انكيراسكلسى المعقودة عام ١٨٣٣ • فبحسب أحكام معاهدة منترو « لا يسمح للاساطيل البحرية الكبيرة أن تمخر المضايق متجهة الى البحر الاسود الا فى ظروف الحرب فقط • بينما يسمح للبوارج الحربية السوفياتية ان تجتازها متجهة الى البحر المتوسط أو بحر البلطيق أو المحيط الباسفيكى وبالعكس » • ولو ان ايطاليا اشتركت فى ذلك المؤتمر لكانت وطأة قراراته عليها اخف مما كانت عليه بالنسبة الى سياستها التقليدية فى البحر المتوسط • ولكنها رفضت الاشتراك متأثرة من قرارات عصبة الامم التى كانت تقضى بفرض الحصار البحرى عليها نتيجة اعتدائها على الحبشة •

وقد نشأت مصاعب حالت دون تحقيق رغبة تركيا لعقد اتفاقات اقتصادية

بينها وبين بريطانيا • فكانت تركيا ترغب بشراء طائرات بريطانية ، كما كانت تود ان تتعاقد مع المؤسسات البريطانية لانشاء معامل كبيرة للحديد والفولاذ • ولكن لم يكن لديها الرصيد الاسترليني الكافي الذى يمكنهـا من تحقيـق رغبتها ؛ خاصة وانه لم يكن في وسع بريطانيا ان تستورد من تركيا المنتجات التركية التى توفر الرصيد المطلوب • وقد امكن التغلب على هذه المشاكل قبل سنوات الحرب الاخيرة وتم الاتفاق بين الطرفين • فكان من نتائج ذلك الاتفاق ان اوفدت بعثة من رجال الطيران الملكى البريطانى الى تركيا لتدريب رجال القوة الجوية التركية • اما فى النواحى الثقافية فقـد بدأ الاتراك يقدرون الجهود التى يبذلها المجلس الثقافى البريطانى • وفى عام ١٩٣٨ تم عقد اتفاق آخر ، منحت تركيا بمقتضاه ضمانا بعشرة ملايين جنيه استرليني تصرف لاغراض الانماء الصناعى ، وقرضا بستة ملايين جنيه لشراء اسلحة بريطانية • وفى مايس من عام ١٩٣٩ نشر بيان انكليزى تركى يعد فاتحة للمعاهدة المعقودة بين بريطانيا وفرنسا وتركيا فى شهر تشرين الاول من العام المذكور • فقد مهد البيان المذكور السبيل الى عقد اتفاق دفاعى متبادل ، والى التعاون وبذل المساعدات عند حدوث أى اعتداء من شأنه ان يثير حرب فى البحر المتوسط •

- ٣ -

اختارت اهم دول الحلفاء والدول المؤيدة لها بريطانيا للانتـداب على فلسطين ؛ وبعد ذلك أقر مجلس عصبة الامم هذا الاختيار • وضمن تصريح بلفور[١] فى صك الانتداب • وقـد نص ذلك التصـريح على الاعتراف

---

(١) Balfour Declaration.

« بالعلاقات التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين وبالاسس التى تمكنهم من اعادة بناء وطنهم القومى فيها • » ولذا فان تضمين التصريح المذكور فى صك الانتداب أوجب على الدولة المنتدبة ان تعمل من اجل تأسيس الوطن القومى اليهودى ، وانماء المؤسسات ذات الكيان المستقل • كما اوجب عليها تأمين الحقوق الدينية والمدنية لسكان فلسطين ، دون الالتفات الى جنسياتهم أو اديانهم • وتسهيل أمر الهجرة اليهودية فى الاحوال الملائمة « على ان تراعى حقوق الطوائف الاخرى من السكان وان يحال دون الاعتداء عليها » •

لقد ظل أمل عودة اليهود الى فلسطين متقدا فى قلوبهم طيلة بقائهم فى المنفى • وكانوا يحاولون العودة الى فلسطين افرادا وجماعات ، كلما تسنح لهم الفرص للعودة • يحفزهم لذلك دوافع شخصية وروحية أو تصاميم اقتصادية محكمة • وبدأت عناية بريطانيا بأمر عودة اليهود الى فلسطين بعد الاحتلال المصرى لها بين عامى ١٨٣١ و ١٨٤٠ • حتى ان الحكومة البريطانية عهدت الى أول قنصل بريطانى عين فى القدس عام ١٨٣٨ ، أمر حماية اليهود الموجودين فى فلسطين مهما كان اصلهم ، وجعلت هذه المهمة من اولى واجباته الرسمية • وساعدت مشاريع الاستيطان التى كان يغذيها ويساهم بها كل من السر موزس مونتفيور[1] والبارون ادموند دى روتشايلد[2] ، فى مضاعفة عدد المهاجرين الى فلسطين • وكان من اثر تلك الخطط أن بلغ عدد المهاجرين خلال السنوات الثلاثين التى سبقت الحرب العالمية الاولى نحوا من الف مهاجر فى العام •

وبعد اعلان الانتداب توقع اليهود أن يتزايد عددهم فى فلسطين زيادة كبيرة وسريعة ، حتى ان جلهم كان يعتقد اعتقادا جازما بان تحويل البلاد الى

(١) Sir Moses Montefiore. (٢) Baron Edmond de Rothechild.

دولة يهودية أمر منتهى منه ، وكلما يتطلب فترة من الزمن تكفى لذلك التحول • وان الدكتور وايزمان[1] رئيس المنظمة الصهيونية[2] عندما سؤل فى مؤتمر فرساى عما يقصده بالوطن القومى اليهودى ، أجاب بانه يعنى وجوب صيرورة فلسطين يهودية كما انكلترة انكليزية • وكان العرب فى الناحية الثانية يعلنون فى المؤتمر السورى العام[3]، الذى انتخب الامير فيصل ملكا على سوريا ، معارضتهم الشديدة للهجرة اليهودية الى اى من اجزاء سوريا وبضمنها فلسطين • كما انهم لم يعترفوا بأن رسائل مكماهون استثنت فلسطين من الاقطار العربية المطالب باستقلالها • بينما كانت الحكومة البريطانية تصر على ان تلك الرسائل استثنت فلسطين منها • وان السر هنرى مكماهون[4] والسر جلبرت كلايتون[5] الذين قاما بمفاوضة العرب أعلنا بأنه كان مفهوما لدى المتفاوضين ـ فى جميع مراحل المفاوضات ـ بأن فلسطين مستثناة من تلك الاقطار • ويستطيع المرء أن يستنتج ، من الاتجاه الذى اتجه كل من فيصل فى مفاوضاته بباريس ، والملك حسين عند سماعه تأكيدات هوغارث ، بأن العرب كانوا مدركين بأن للحكومة البريطانية رأياً خاصاً بشأن فلسطين • ومما يؤسف له ان رسائل مكماهون جاءت غير واضحة ، وان صك الانتداب جاء مبهما بصدد مصير فلسطين • ولان الانتداب كان مستندا الى تصريح بلفور فان العرب لم يعترفوا بالانتداب ، خاصة وانهم لم يستشاروا بأمر التصريح قبل اعلانه • كذلك انهم كانوا يجمعون على ان ذلك التصريح انتهاك للوعود التى قطعت لهم •

وبعد ان ادرك عرب فلسطين وجهة نظر الحكومة البريطانية فى مصير

---

(١) Dr. Weizmann. (٢) Zionist Organisation.

(٣) General Syrian Congress. (٤) Sir Henry McMahon.

(٥) Sir Gilbert Clayton.

بلادهم ، ثاروا مرتين بوجه السلطة المحتلة قبل ان يتم فرض الانتداب على بلادهم • كانت الاولى فى عيد الفصح عام ١٩٢٠ وكانت الثانيـة فى مايس عام ١٩٢١ ؛ قتل الكثيرون من اليهود فى هاتين الثورتين ، كما قتل وجرح عدد ليس بالقليل من العرب بسلاح السلطة المحتلة • ومع ذلك فقد استمرت هجرة اليهود الى البلاد بمقياس واسع حتى بلغ عدد المهاجرين اليهود المجازين خمسة آلاف وخمسمائة مهاجر عام ١٩٢٠ ، واربعة وثلاثين الف مهاجر فى عام ١٩٢٥ • ثم ضعفت الهجرة خلال فترة قصيرة هى فترة الأزمـة الاقتصادية العالمية • ومع ان الهجرة اليهودية ظلت مصدرا لسخط العرب واستيائهم ، فان السبب المباشر لثورة عام ١٩٢٩ ، كان وقوع حادث بسيط عند حائط المبكى خلاصته ان اليهود أقاموا حاجزا فى المكان الذى يتعبدون فيه الا ان السلطات رفعت ذلك الحاجز لان واجبها كان يقضى عليها بمحافظة الوضع الراهن كما كان عليه فى العهد العثمانى • فحدث من جراء ذلك ان قام اليهود بمظاهرات صاخبة ادت الى ان يقوم العرب بمظاهرات معادية ، تطورت الى قيام العرب بثورة على السلطات باعتبارها المسؤولة عن السياسة الاعتدائية التى انتهجها اليهود[1] • وكانت ثورة العرب هذه على جانب كبير من الخطورة لانها جاءت بعد مرور سنوات هدوء وسلام بررت للسلطات الحاكمة ان تسحب جيوشها من البلاد مستعيضة عنها بقوة جوية صغيرة • فلما اشتعلت نار الثورة لم يكن فى البلاد من المشاة ما يكفى لمساعدة قـوة الشرطة للقضاء على الاضطرابات •

---

(١) على اثر الاضطرابات الواسعة التى وقعت بين العرب واليهود فى عام ١٩٢٩ الفت لجنة تحقيق برئاسة السر ولتر شو • وقد اوصت هـذه اللجنة بضرورة تحديد الهجرة اليهودية (المعرب) •

وفى خلال السنوات العشر التى تلت عام ١٩٢٠ سمح بادخال مائة الف يهودى • وفى السنوات السبع التى اعقبتها ادخل مائة وثمانين الف يهودى ؛ اى ان مجموع اليهود فى فلسطين بلغ ربع مليون يهودى خلال تلك الفترة القصيرة • وكان يتردد فى اذهان العرب السؤال التالى : هل ستستمر الهجرة اليهودية حتى يتفوق اليهود بعددهم على العرب ؟ ومع ان العرب رفضوا الانتداب فان صكه كان ينص على ان الهجرة اليهودية يجب « الا تغمط حقوق السكان غير اليهود والا تضعف مكانتهم » • ولكن العرب كانوا شاعرين بان الهجرة اليهودية تهدد حقوقهم وتضعف مكانتهم خاصة بعد ان يصبحوا أقلية فى بلادهم • وحاولت الحكومة البريطانية خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين ايضاح ما ورد فى تصريح بلفور وفى صك الانتداب من ابهام بما نشرته من كتب بيضاء[1] فى عامى ١٩٢٢ و ١٩٣٠ ، ومقررات اللجنة الملكية فى عام ١٩٣٦ ، والكتاب الابيض فى عام ١٩٣٩ •

ومما لا ريب فيه ان الكتاب الابيض المنشور عام ١٩٢٢ انكر على الدكتور وايزمان تفسيره « للوطن اليهودى » كما انكر عليه « زعمه بان فلسطين يجب أن تصبح يهودية كما ان انكلترة انكليزية » • واوضح ان الحكومة البريطانية لم تكن تهدف تلك الاهداف وانها لا تسعى لابادة العرب من سكان البلاد ، أو اخضاعهم الى غيرهم أو القضاء على لغتهم أو ثقافتهم أو فرض الجنسية اليهودية على جميع سكان فلسطين • وبالوقت ذاته جاء الكتاب الابيض مؤيدا ان وجود اليهود فى فلسطين نتيجة حق تاريخى ، وليس نتيجة ما يلاقونه من اضطهاد فى بعض اقطار شرق اوربا • ولهذا فان تأسيس الوطن القومى اليهودى يتطلب كما قرره الكتاب الابيض مضاعفة عدد

---

(١) White Papers.

المهاجرين الى فلسطين « على الا تكون الهجرة من الجسامة بحيث تتجاوز حدود قابلية البلاد الاقتصادية لاستيعاب المهاجرين » •

وكان يظن بان الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٢٢ ، شطب امكانية تأسيس دولة يهودية فى فلسطين • الا ان اللجنة الملكية التى الفت عام ١٩٣٦ ذهبت خلاف ذلك ، وايدت المنظمة الصهيونية فيما تسعى اليه • ومن الغريب ان الدكتور وايزمان أقر ما ورد فى الكتاب الابيض المنشور قبل اعلان الانتداب ، ووعد الحكومة البريطانية بان المنظمة الصهيونية ستتصرف وفق السياسة التى وضع الكتاب الابيض اصولها • وقد وقف اليهود هذا الموقف لاعتقادهم بأن حماسهم لقضيتهم ، وما يتمتعون به من مهارة فنية وما يتوفر لديهم من رؤوس اموال ، سيمكنهم من مضاعفة قابلية البلاد الاقتصادية لاستيعاب جميع ما يستطيعون ادخاله اليها من مهاجرين ، فيتفوقون بعددهم على العرب دون ان يخالفوا ما نص عليه الكتاب الابيض المذكور • ومن الملاحظ ان الكتاب الابيض هذا لم ينص على ان الهجرة اليهودية يجب ان تبلغ الغاية القصوى لقابلية الاستيعاب الاقتصادى للبلاد ، وانما نص على انها يجب الا تتجاوز تلك القابلية •

وقد أدى هذا التباين بوجهات النظر الى حدوث احتكاك بين اليهود وسلطات الانتداب • فكثيرا ما انتقدت المنظمة الصهيونية الاجراءات المتخذة لتحديد الهجرة زاعمة بأن البلاد لا زالت تستوعب أكثر مما تقرره السلطات • وهذا ما جعلها تشجع الهجرة غير المجازة ، وتتواطأ على التستر عليها • الامر الذى جعل الهجرة غير الرسمية تبلغ نسبة عالية خلال الفترة بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٣٠ • ولم تكتف المنظمة الصهيونية بادخال عدد كبير من اليهود خلسة الى البلاد ، بل حرضت عددا ليس بقليل من اليهود المجازين بالاقامة

الوقتية على العصيان والتمرد ورفض الخروج من البلاد بعد انتهاء مدد اقامتهم • ولم تثبت السلطات الحاكمة من عدد اولئك المهاجرين غير المجازين الذين تسربوا الى البلاد خلال السنوات الاولى للانتداب • ولكن عددهم بلغ فى عام ١٩٣١ نيف وستة آلاف مهاجر ، اضطرت السلطات الحاكمة الى قبولهم نتيجة ضغط المنظمة الصهيونية التى سبق لها ـ على لسان رئيسها ـ ان وعدت بتنفيذ السياسة التى أوحى بها الكتاب الابيض ، والتى أخذت الآن تهدد بعدم تعاون السكان اليهود مع السلطات الادارية فى قيامها باجراء احصاء عام للبلاد ما لم تعترف بهجرة اولئك المهاجرين غير المجازين •

وجاءت المحاولة الثانية لايجاد حل للمعضلة الفلسطينية فى عام ١٩٣٠ على ضوء تقرير لجنة انتدبت لبحث أسباب ثورة عام ١٩٢٩ • ومما شددت عليه اللجنة بتقريرها وجوب قيام سلطات الانتداب بالتزاماتها نحو غير اليهود من سكان فلسطين • وقد كان هذا التقرير شديد الوطئة على الصهيونيين لانهم كانوا يعتبرون ان الغاية من الانتداب هى تنفيذ التزامات الانتداب نحو اليهود ، ولهذا يجب تنفيذ تلك الالتزامات على حساب الطوائف الاخرى • كذلك انتقد التقرير بشدة مؤيدى الصهيونية فى بريطانيا • ولدى اصرار سلطات الأنتداب على تنفيذ السياسة التى اوصى بها التقرير ، استقال الدكتور وايزمان من رئاسة المنظمة الصهيونية التى اتخذت لنفسها اسم « الوكالة اليهودية »[1] فى عام ١٩٣٠ ، تلك التسمية التى وردت فى صك الانتداب • وبلغ سخط اليهود ومؤيديهم فى بريطانيا حدا اضطر رئيس الوزارة ان يبعث برسالة شخصية الى الدكتور وايزمان ينكر فيه وجود أى قصد للنكول عن

---

(١) Jewish Agency.

الوعود التى قطعت لليهود[1] .

ومع ان الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٠ لم يرض اليهود ، وأثار حفيضتهم ، فان الحكومة البريطانية اتخذت منه وسيلة للتخفيف من حدة مطاليب العرب المستندة الى ما هو وارد فى صك الانتداب بشأن اقامة مؤسسات مستقلة ذاتيا تدار من قبل العرب وحدهم . لقد رفض العرب فى عام ١٩٢٣ مشروع اقامة مجلس تشريعى لاعتقادهم بان قبولهم المشروع اعتراف بالانتداب . فلما اصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الابيض لعام ١٩٣٠ ، ادرك العرب انهم لا يستطيعون الحصول على أكثر مما جاء فى توصيات الكتاب المذكور ، « فليس ثمة فائدة من الاصرار على مطاليب العرب الاولى القاضية بمنح البلاد دستورا . لان ذلك يزيد فى المصاعب التى تجابهها الحكومة البريطانية عند قيامها بتعهداتها لكلى الطرفين ... اليهود من جهة والسكان الاخرون من جهة » . غير ان العرب كانوا يعتبرون احداث حكومة عربية مستقلة من الامور التى يتوقف عليها كيانهم . ومن العوامل التى كانت تدفعهم الى الالحاح بمطاليبهم تلك ، انهم الفوا نوعا من الحكم الذاتى فى العهد العثمانى ، وان العراق على وشك حصوله على استقلاله ، كما ان ثمة دولتين عربيتين أقل من فلسطين تقدما تتمتعان بالاستقلال التام ـ المملكة العربية واليمن . ومع كل ما بلغه الفلسطينيون من تقدم فانهم حرموا من ممارسة السلطة السياسية ، لمجرد تخوف السلطة المنتدبة من ان ذلك

---

(١) على أثر توصيات لجنتى شو وسيمون ازداد سخط اليهود واستقال وايزمان من رئاسة المنظمة الصهيونية واخذ انصار اليهود فى بريطانيا يشددون الضغط على الحكومة البريطانية حتى اضطر رئيس الوزارة يوم ذاك رامسى مكدونلد الى التصريح بان الحكومة البريطانية مستعدة لتفسر الكتاب الابيض الذى اصدرته فى تشرين الثانى فى عام ١٩٣٠ تفسيرا يلائم مصالح الصهيونية . (المعرب) .

يحول دون استمرار الهجرة اليهودية • وكانت السلطة الادارية عاجزة عن تحديد الهجرة ، بدليل ان آلافا من اليهود دخلوا البلاد خلسة وبدون اجازة • وهذا ما ينم عن أحد أمرين : اما ان السلطات كانت تشجع تلك الهجرة غير المجازة أو انها كانت عاجزة عن فرض سيطرتها على اليهود •

وقد عزت اللجنة الملكية التى الفت عام ١٩٣٦ ، ثورة العرب عام ١٩٣٣ الى سببين رئيسيين : حرمانهم من الاستقلال ، واستيائهم من موقف الحكومة بالنسبة للهجرة اليهودية • اما اليهود فقد ادعوا بانه لا يوجد فى صك الانتداب ما يمنعهم من ان يصبحوا أكثرية فى فلسطين ، مستشهدين على دعواهم هذه بما أورده لويد جورج فى مذكراته : « ومما كان يدور فى خلد الوزارة يوم ذاك انه يجب الا تقام حكومة يهودية فور عقد معاهدة الصلح ، دون الرجوع الى رغبة أكثرية السكان • وبالوقت ذاته كان أعضاء الوزارة مجمعين على انه اذا ما حان الوقت لتأليف مثل تلك الحكومة ، سيما اذا استجاب اليهود الى الظروف المهيئة لهم ، فأصبحوا أكثرية بينة بالنسبة لسكان البلاد ، عندئذ تصبح فلسطين دولة يهودية » • ولا شك ان مثل هذه الاقوال زادت فى مخاوف العرب من ان الانتداب يقف حجرا مانعا دون حصولهم على حقهم فى الحكم الذاتى ، حتى يصبح اليهود أكثرية تستطيع فرض ارادتها على العرب • ولماذا نلوم اليهود اذا ما اعتبروا سياسة مشروعة ، تلك التى يعدها العرب شرا على كيانهم ، واليهود يلاقون ذلك التشجيع من سياسيين أمثال لويد جورج •

ونظرة الى موقف الحكومة البريطانية أزاء المعضلة الفلسطينية يوم ذلك ، تجعلنا نشك فيما كان يدور فى مخيلة اليهود عن ان الحكومة البريطانية كانت تقوم بصورة تدريجية ، وبأساليب احتيالية ، بما يجب ان تقوم به فورا

وبكيفية علنية • غير عالمين بان البعض من الساسة البريطانيين كانوا فى شك من رغبة اليهود للعودة الى فلسطين ، كما كانوا غير واثقين بأن القابلية الاستيعابية للبلاد تتسع لاكثر من عدد صغير من المهاجرين • والحقيقة ان غالبية الساسة البريطانيين كانوا يعتقدون بان ابلاغ عدد اليهود النازحين الى فلسطين ، الى نسبة السكان العرب يتطلب سنوات عديدة يمكن خلالها التغلب على كفاح العرب فتضيق الشقة بينهم وبين اليهود ويستسلمون الى الامر الواقع نتيجة حرصهم على منافعهم المادية ، فيصبح من السهل ايجاد دولة عربية يهودية • وهذا الاعتقاد هو الذى حدى بالحكومة البريطانية عند وضع صيغة وعد بلفور الى رفض الاعتراف باعتبار فلسطين وطنا قوميا لليهود ، والى اصرارها على الصيغة التالية : « اقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين » • وقد أسس الانتداب لتحقيق مدلول هذه الصيغة •

والواضح ان العرب لم يخبروا بانهم سيصبحون أقلية فى فلسطين يوما من الايام • ولذا كانت ثمة آمال باصلاح الوضع فى فلسطين • ولكن تلك الآمال تلاشت وتبددت بعد تولى هتلر الحكم فى المانيا • ومع ان الحكم النازى بدأ عام ١٩٣٣ ، فان اليهود أخذوا يهاجرون من المانيا الى فلسطين منذ عام ١٩٢٠ ، وقد تضاعفت تلك الهجرة بعد اعلان سياسة التفريق العنصرى فى المانيا • ففى عام ١٩٣٣ وصل الى فلسطين ثلاثون الف مهاجر ، وفى عام ١٩٣٤ سمح بادخال اثنين واربعين الف مهاجر ، وفى عام ١٩٣٥ ستين الف مهاجر • ومع ان عدد المهاجرين حتى عام ١٩٣٥ لم يتجاوز قابلية البلاد الاقتصادية لاستيعاب النازحين اليها ، الا ان مخاوف العرب دفعتهم الى حساب عدد السنوات التى تتطلبها سرعة تزايد الشعبين زيادة طبيعية • وقد قامت بمثل هذا العمل اللجنة الملكية عام ١٩٣٦ ، وعلى ضوء ذلك الحساب امكن

تعيين عدد المهاجرين اللازم ادخالهم الى البلاد لتكون نسبة اليهود معادلة الى نسبة سكان البلاد الآخرين • ولقد وجدت اللجنة الملكية التى باشرت عملها عام ١٩٣٧ ، ان نسبتى اليهود والعرب تتعادل بعد عام ١٩٦٠ اذا ما حددت الهجرة بثلاثين الف مهاجر فى العام ، أو انها ستتعادل فى عام ١٩٤٧ ، اذا ما سمح بهجرة ستين الف مهاجر فى العام • واذا ما اعترفنا بأن اليهود استوطنوا مناطق غير مأهولة وانشؤوا بحقولهم ومزارعهم فى مناطق غير صالحة للزراعة ، وان العرب القاطنين بجوار القرى اليهودية استفادوا بعض الفائدة منها ، وان الخدمات العامة التى قامت بها الدولة أمكن تحقيقها بفضل الضرائب التى تجبى من السكان ، ونسبة ما يجبى من اليهود أكثر من نسبة ما يجبى من العرب ، وان العرب استفادوا من تلك الخدمات أكثر من غيرهم ، فليس معنى هذا ان العرب يجب ان يخضعوا لغيرهم وان يرضوا بنصيبهم • « فليس بالخبز وحده يحي الانسان » • والغريب ان اليهود الذين نقلت هذه العبارة من توراتهم والذين اندفعوا لتشجيع الصهيونية تشجيعا جنونيا ، لم يدركوا ان المغانم الاقتصادية وحدها لا يمكن ان تطفىء رغبة العرب بالاستقلال وبالحكم الذاتى •

وقامت الحكومة البريطانية فى عام ١٩٣٥ بمحاولة ثانية لاقامة مجلس تشريعى وكان نصيب هذه المحاولة الفشل أيضا نتيجة مقاومة اليهود للمشروع • يضاف الى ذلك ان الفكرة لاقت مقاومة عنيفة فى البرلمان الانكليزى ، بعضها بني على الزعم القائل بان البلاد غير مهيئة للحكم الذاتى ، وبعضها الاخر على الزعم بان اقامة مجلس تشريعى يعيق تأسيس الوطن القومى اليهودى • وفشل تلك المحاولة زاد فى اعتقاد العرب بأن قضيتهم لم تلق أذنا منصفة ؛ سيما وان اثنين من معارضى المشروع فى مجلس العموم ،

واثنين آخرين فى مجلس اللوردات كانوا أنفسهم يهودا • وتكررت الاضطرابات فى عام ١٩٣٦ • وكان يشجعها المتطرفون من القوميين المصريين والعراقيين وبلغت تلك الاضطرابات من العنف حدا اضطر سلطة الانتداب الى استقدام مفارز من جيوش بريطانية مرابطة فى أقطار مجاورة • ولم تخمد الا بعد ان ارسل ملوك بعض الاقطار العربية ـ العراق والاردن والمملكة العربية السعودية ، نداء يطلبون من عرب فلسطين الاخلاد للسكينة حقنا للدماء • وكان لذلك النداء بالاشتراك مع التدابير العسكرية فعلا ايجابيا أعاد الى البلاد النظام والاستقرار • وقد أظهر اليهود طوال فترة الاضطرابات هدوءا عجيبا وضبطا لاعصابهم • ومع ذلك يجب ان لا ننسى « بان الصراع كان قائما بين قوميتين واحدة تساندها جميع القوى من أجل تحقيق أغراضها ، وأخرى فى طريق الاندحار » •

وبعد ان هدئت البلاد ، اصبحت الظروف ملائمة لقدوم اللجنة الملكية السابقة الذكر اليها • وكان الغرض من تعيين تلك اللجنة تحديد أسباب الاضطرابات أو دراسة الطرق التى اتبعها الانتداب فى تحقيق الرسالة التى عهدت اليه ، ومعرفة مدى ما أصاب العرب أو اليهود من حيف من جراء اتباع تلك السياسة ، وما هى التوصيات العملية لازالة ذلك الحيف ولعدم تكراره • ومن بين جميع اللجان التى عينت لدراسة المعضلة الفلسطينية تعد لجنة بيل ـ كما سميت باسم رئيسها ـ أكثر اللجان توفرا على دراسة المهمة التى اسندت اليها • وان التقرير الذى قدمته يعد أكمل تقرير قدم حول الموضوع • ومع ان العرب لم يرضوا عن عملها ، لانها اعتبرت صك الانتداب وتصريح بلفور من الامور المسلم بها ، وحاولوا مقاطعتها ولم يوافقوا على عرض مطالبهم عليها الا قبيل رحيلها من البلاد ، فان لجنة بيل انصفت

العرب واستمعت لشكواهم بصدر رحب •

وقدمت اللجنة تقريرها فى عام ١٩٣٧ • ومما توصلت اليه ان الاسباب الحقيقية للثورة الاخيرة هى الاسباب ذاتها التى أدت الى الثورات السابقة • وتتلخص تلك الاسباب ما يأتى :

(١) رغبة العرب بالاستقلال • (٢) تخوفهم من تأسيس الوطن القومى اليهودى والقضاء عليهم • وثمة عوامل ثانوية أثارت العرب ودفعتهم الى الثورة وهى تقدم الاقطار العربية المجاورة ، وبلوغها مرحلة الاستقلال الذاتى ، وهرب اليهود من اوربا ولجؤهم الى فلسطين • واعتقاد العرب بأن اليهود يستطيعون بأى وقت يشاؤون التأثير على الحكومة البريطانية ، بينما يعجز العرب عن ذلك ، وعدم ثقة العرب بالانكليز لتكرر نكوثهم بما أعطوه اليهم من وعود خلال الحرب، وخوفهم من توسع اليهود فى شراء الاراضى وانتقالها من ايدى العرب الى ايديهم ، وعنف الدعاية اليهودية ، وأخيرا تخوف العرب من نوايا الانتداب • وانتقدت اللجنة سلطات الادارة فى فلسطين لتفاؤلها من وضع البلاد مما جعلها توحى بنقل الجنود من فلسطين خلال الفترة بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٢٨ • فكان من نتائج ذلك ان عجزت عن ضمان سلامة اليهود ووقايتهم من الاعتداءات العربية أو عن قمع أى اضطراب ربما يحدث فى البلاد بحزم وصراحة • ومع ذلك فانها لم تشارك اليهود فى زعمهم بان ثورة العرب تعزى الى ضعف الحكومة الفلسطينية •

وقامت اللجنة بدراسة الهجرة غير المشروعة دراسة مستفيضة فتوصلت الى ان تعداد اليهود الذين ادخلوا الى البلاد خلسة خلال عام ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ زاد على اثنين وعشرين الف مهاجر • كما وجدت اللجنة انه لا يمكن تحديد عدد العرب الذين دخلوا خلسة الى البلاد ، ذلكم لان الهجرة العربية موسمية

والذين يستقرون منهم فى البلاد لا يؤثرون على اوضاعها الاقتصادية • وأخيرا توصلت اللجنة الى ان قاعدة قابلية الاستيعاب الاقتصادى أهملت عوامل لن يهملها أى سياسى مدرك لحقيقة الظروف المحيطة بالبلاد • فليس من الصواب ان توضع قاعدة للهجرة اليهودية ما لم تراع العوامل النفسية والعوامل السياسية التى تتأثر بها حياة سكان البلاد • ولهذا اوصت اللجنة ان يوضع حد للهجرة اليهودية ، والا يزيد عدد المهاجرين خلال السنوات الخمسة التالية عن اثنى عشر الف مهاجر فى العام مع مراعاة قابلية الاستيعاب الاقتصادى للبلاد • وطلبت اللجنة فى حالة رفض توصياتها العامة ان يؤخذ بتوصياتها الخاصة ان أريد للبلاد استقرار وسلام) •

وقد انتقدت اللجنة انتقادا شديدا الرأى القائل بان العرب سيكيفون انفسهم تكيفا تدريجيا حسب مقتضيات سياسة انشاء الوطن القومى اليهودى ، نتيجة للرخاء المادى الذى سيحل بالبلاد من أثر الهجرة اليهودية • فثمة مجتمعان مختلفا القومية ـ فى صراع عنيف ـ مليون عربى يقاوم اربعمائة الف يهودى ؛ واذا ما استطاعت الحكومة البريطانية التخفيف من حدة ذلك الصراع نتيجة ما تتخذه من تدابير وقتية ، فذلك لا يعني انها توصلت لايجاد حل للخلاف القائم بين المجتمعين • واذا ما كان تحويل فلسطين الى مستعمرة تحت التاج البريطانى ملائم لكلى المجتمعين ، فان اقامة حكومة مستقلة فى البلاد أمر متعذر لان ذلك لا يوفر للبلاد نظاما يقيم العدل بين الفريقين المتنازعين، ولا يرضيهما فلا يمكن ان يسود البلاد سلام ونظام وحكم عادل الا باتباع الضغط والشدة ، وهذا ما لا يرضى الحكومة البريطانية ولا يؤدى بالبلاد الى النهاية المرجوة • وبالوقت ذاته تقضى مصلحة بريطانيا ان تحتفظ بصداقة العرب واليهود معا • ولذا فليس من اليسير عليها ان تعطى ايا منها جميع

ما يطمح اليه • وبحسب ما ذهبت اليه اللجنة ، ليس من الصواب ان يسلم مصير اربعمائة الف يهودى الى العرب ، أكثر اولئك اليهـود دخلوا البلاد بمساعدة الحكومة البريطانية وبموافقة عصبة الامم • وبالوقت ذاته ليس من الصواب ان تسلم مقدرات مليون عربى الى اليهود ، وخاصة بعد ان يصبح اليهود أكثرية فى البلاد • ومراعاة لمثل هذه الظروف رأت اللجنة انه لا حل لهذه المعضلة الا بتقسيم البلاد الى قسمين قسم يهودى وآخر عربى •

وبحسب مشروع التقسيم المقترح ، تؤسس دولة يهودية تضم القسم الساحل الممتد حتى نقطة تقع الى الشمال عند منتصف المسافة بين غزة ويافا ، وتمتد حتى لبنان من ناحية وحتى بحيرة طبرية من ناحية أخـرى • اما الاماكن المقدسة وتوابعها فتبقى تحت الانتداب ، ويشمل هذا القطاع القدس وبيت لحم والناصرة وجزء من ساحل بحيرة طبريا • وتترك الاجزاء الباقية من فلسطين الى العرب لتنظم الى شرق الاردن فى دولة واحدة • واشترط ان تتخذ التدابير لتسهيـل مرور البضائع العائدة لاحدى هـذه الدول من أراضى الدولة الاخرى ، كما يجب على الدولة اليهودية ان تساهم فى انعاش الوضع الاقتصادى للدولة العربية ، وأخيرا تحول المنحة البريطانية التى تدفع سنويا الى شرق الاردن الى الدولة العربية الجديدة •

وأدى نشر تقرير اللجنة الملكية الى انتشار الاضطرابات وفى زيادة حدتها ، وقد بدأت الاضطرابات عند قدوم اللجنة الملكية الى البلاد ، الامر الذى اضطر السلطة الادارية الى اتخاذ تدابير صارمة للقضاء عليها • ومن تلك التدابير الغاء اللجنة العربية العليا واللجنة القومية واعتبارهما منظمتين غير قانونيتين ، كما نفت سكرتير اللجنة العربية العليا ، وثلاثة من اعضائها الى سيشل • اما مفتى القدس وهو محور المقاومة العربية ، والذى سبق ان عزل من وظيفته

رئيسا للمجلس الاسلامى الاعلى ، فقد فر الى لبنان • (التجأ خلال الحرب العالمية الثانية الى بغداد ومنها الى ايران بعد ان فشلت حركة مقاومة الحلفاء التى سعى لاثارتها فى العراق ، ثم فر الى المانيا وأخيرا انضم الى حركة مقاومة اليهود وساهم فى تجنيد مسلمى البوسنة لمحاربة الحلفاء) •

وفى هذه الفترة بدأت لجنة التقسيم عملها دون ان يتعاون العرب معها • لقد كان مشروع التقسيم المقدم عام ١٩٣٦ بشكل ابتدائى ولهذا وجد انه لا محيص من تحويره وتكييفه بحيث يتمشى مع بعض الاعتبارات السياسية • غير ان الشروط التى فرض على اللجنة اتباعها عند بحث قضايا الدفاع والاكتفاء الذاتى والمالية لكل من الدولتين، كانت من الشدة بحيث جعلت مشروع التقسيم من الامور المتعذر تحقيقها ، ويلقى النقاد تبعة ذلك على الحكومة البريطانية • ان التقسيم لا يمكن تحقيقه ما لم يفرض على العرب قسرا ، بينما كانت الحكومة البريطانية تنهج معهم سياسة اللين وتتبع أساليب الاقناع والاغراء • واستعمال مثل هذه السياسة معناه محاولة لتهدئة الخواطر ـ أى اما اقناع اليهود للتضحية من أجل تحقيق السياسة البريطانية أو التردد فى الدخول بنزاع مع العالم العربى فى ظروف حرجة من أجل تحقيق أغراض غير واضحة جاءت فى تصريح بلفور فى صك الانتداب •

ومهما كان الغرض من تحديد الشروط التى فرضت على مشروع التقسيم ، فان اللجنة التى كلفت بوضع أصول المشروع قدمت تقريرا نصت فيه على تعذر تعيين الحدود اللازمة لكلى الدولتين بحيث تجعل من كل واحدة منها وحدة اقتصادية مكتفية ذاتيا • وعلى أثر ذلك أعلنت الحكومة البريطانية ان المشاكل الادارية والسياسية والمالية تحول دون تحقيق التقسيم ، ولهذا قررت ان تحاول محاولة حاسمة لان تقرب بين وجهات نظر العرب

واليهود • وتحقيقا لمحاولتها هذه ستدعو لعقد مؤتمر فى لندن يحضره ممثلون عن عرب فلسطين وآخرون عن الاقطار العربية المجاورة كما يحضره ممثلون عن الوكالة اليهودية •

وسمح لعرب فلسطين باختيار ممثليهم على الا يكون المفتى من بينهم ، لان الحكومة البريطانية ترفض قبوله فى بلادها • غير ان العرب رفضوا ان يجلسوا مع اليهود فى اجتماع واحد ، وهذا ما حدى بممثلى الحكومة البريطانية ان يتفاوضوا مع كل من الوفدين على انفراد • وفى هذا المؤتمر وجد العرب لاول مرة آذانا صاغية لسماع قضيتهم • وترجمت رسائل مكماهون ونشرت فأبدى ممثلوا الحكومة البريطانية أسفهم لما وقع من سوء فهم من جراء احدى العبارات الواردة فيها • كما اعترفوا بوجهة نظر العرب ، بما يخص حدود الاقطار التى وعدت بالاستقلال والتى تشمل أقل مما يجب ان تكون • ومع ذلك فان الممثلين البريطانيين أصروا على الرأى القائل بان جميع فلسطين غرب نهر الاردن مستثناة من تلك المساحة •

وأعلنت الحكومة البريطانية انها تتفق اتفاقا تاما مع توصيات اللجنة ، واقترحت ان تحدد الهجرة اليهودية بثمانية آلاف مهاجر خلال الاشهر الثمانية التالية ، كما انها اوصت بمنع انتقال الارض من العرب الى اليهود انتقالا يؤثر فى مشروع التقسيم اثناء تطبيقه • واوضحت الحكومة البريطانية بان مشروع التقسيم يعود بالخير على كل من الطرفين فلا يبقى مجال لخوف العرب من تحول جميع فلسطين الى دولة يهودية ، ويصبح اليهود يسيطرون على جزء محدود من البلاد ، لهم ان يدخلوا اليه العدد الذى يريدون ادخاله من المهاجرين اليهود كما ان لهم ان يؤسسوا فى هذه الجزء الوطن القومى

اليهودى بالكيفية التى يتخيلونها •

وبعد ان اقترن التقرير بموافقة البرلمان ولجنة الانتداب التابعة لعصبة الامم ، قررت الحكومة البريطانية تعيين لجنة أخرى تقوم بدراسة المشروع وتقديم اقتراحاتها العملية بصدده • هذا وقد اثار مشروع التقسيم جدلا عنيفا بين الاوساط اليهودية والعربية • فعند بحث المشروع فى المؤتمر الصهيونى انقسم الاعضاء على أنفسهم وجاء قراره مرتبكا • ففى الوقت الذى ينتقد قرار المؤتمر بشدة توصيات لجنة التقسيم ، باعتبارها نكوصا عن التعهدات التى قطعت لليهود ، ولهذا يرفض المؤتمر مشروع التقسيم ، فانه خول اللجنة التنفيذية للمؤتمر « ان تتثبت من الشروط الحقيقية التى تشترطها الحكومة البريطانية لاجل تأسيس الوطن اليهودى » •

ورفض عرب فلسطين مشروع التقسيم حال صدور قرار اللجنة ، وأيدهم فى الرفض جميع الاقطار العربية • ولنا ان نتساءل هل كان العرب محقين بهذا الرفض ؟ • ان اليهود كما يعتقد الدكتور وايزمان يوافقون على مشروع شبيه بمشروع التقسيم • والواقع انه لما انتهى الانتداب ، وانسحبت بريطانيا من البلاد ، استطاع اليهود ان يشغلوا جزءا أكثر سعة من الجزء الذى حددته لجنة التقسيم لهم • ولهذا يتسائل الكثيرون هل أصاب العرب برفضهم المشروع بدلا من اتخاذه أساسا للمفاوضة وللمطالبة بأمور أخرى ؟ والجواب على ذلك ان تسليم البلاد نتيجة اندحار فى حرب أمر ، وتسليمها بدون حرب وبمحض اختيار أمر آخر •

وكانت فى فلسطين فئة من العرب تنظر الى المستقبل نظرات بعيدة • فكانت لا تحجم عن الاعلان بدوائرها الخاصة أنه لا مفر من التفاهم مع عصبة الامم ، ومع اليهودية العالمية ، من أجل ايجاد حل وسط للمعضلة التى

يعانى العرب منها • وان تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية هو الحل المرضى • ولكن هذه الفئة وان دفعتها شجاعتها الى الاعلان عن رأيها هذا ، فانها لن تجد من يناصرها من بين جمهرة العرب فى فلسطين أم فى غيرها من الاقطار العربية • وربما كان مصير تلك الفئة ان اعلنت عن ميولها الابادة والهلاك • وكان العرب يبنون اصرارهم على مطاليبهم الاولى تخوفهم من ان اليهود اذا ما سمح لهم بجزء صغير من فلسطين فسيتخذون منه قاعدة للتوسع وللاستيلاء على الاجزاء الباقية • وللعرب الحق اذا ما بالغوا فى تخوفهم من اطماع اليهود • فمما يجب الا ينسى ان اليهود عندما كانوا يناقشون الدكتور وايزمان فيما يخص حدود الدولة اليهودية المزعومة ، وانها كما اقترحتها لجنة التقسيم لا تضم هذا الجزء أو ذاك ، كان جواب وايزمان لهم « ان هذه الاجزاء لن تطير » • كذلك كان العرب يعتقدون بان الحكومة البريطانية وعصبة الامم عاجزة عن صد جماح اليهود من أجل التوسع •

ولما لم يوافق العرب واليهود على المقترحات المقدمة اليهم اضطرت الحكومة البريطانية لان تختط لنفسها السياسة التى رأتها واجبة الاتباع • وضمنت تلك السياسة فى الكتاب الابيض الذى أصدرته عام ١٩٣٩ ، والذى اعترفت فيه بأن غموض بعض التعابير الخاصة الواردة فى صك الانتداب مثل « الوطن القومى للشعب اليهودى » كانت السبب الرئيسى للعداء المتحكم بين العرب واليهود ، وان وضع سياسة بينة المعالم واضحة الاهداف من الامور اللازمة لحل القضية الفلسطينية • وكم كان جديرا ان يتخذ مثل هذا القرار قبل عشرين عاما عند بدء الانتداب ؟ •

وقد ذهبت الحكومة البريطانية الى ما ذهبت اليه اللجنة الملكية بأن واضعى صك الانتداب لم يهدفوا تحويل فلسطين الى دولة يهودية ، خلاف

رغبة العرب من سكانها • ولهذا أعلنت بدون مواربة انه ليس من سياسة الحكومة البريطانية ان تحول فلسطين الى دولة يهودية وان تعهد بريطانيا باقامة الوطن القومي اليهودى قد انجز بعد ان ادخل الى البلاد نيف وثلثمائة الف يهودى منذ عام ١٩٢٢ حتى تاريخ صدور الكتاب الابيض • وبهذا اصبحت نسبة اليهود من سكان البلاد أكثر من ثلث مجموع سكان البلاد •

وتنفيذا لمهمة « تهيئة البلاد للحكم الذاتى » عرضت الحكومة البريطانية على العرب واليهود مشروع تأسيس دولة فلسطينية مستقلة خلال فترة لا تزيد على عشر سنوات ، ترتبط هذه الدولة مع بريطانيا بمعاهدة تؤمن المصالح التجارية والدفاعية لكلى الدولتين • وفى خلال فترة الانتقال هذه ، ستحول جميع الدوائر الحكومية تحولا تدريجيا الى دوائر فلسطينية يديرها مدراء فلسطينيون ويساعدهم فى أعمالهم مستشارون بريطانيون • ويؤلف اولئك المدراء مجلس تنفيذى يتحول فى الوقت المناسب الى مجلس للوزراء • اما بالنسبة الى الهجرة فان الحكومة البريطانية لا تستطيع ان توافق على جعل القابلية الاقتصادية للاستيعاب أساسا لقبولها • كما انها لم تؤيد العرب بطلبهم ايقاف الهجرة فورا وانما اقترحت ادخال خمسة وسبعين الف مهاجر جديد خلال المسنوات الخمس القادمة ، وعندئذ تمنع الهجرة ما لم يوافق العرب على السماح بها • اما ما يخص تزايد السكان العرب وانتقال الاراضى من ايدى العرب الى اليهود فقد قررت الحكومة البريطانية الاستمرار على تنفيذ القانون السابق بشأنها والذى اعطى الحاكم العام صلاحية تنظيمها • وقد منع القانون المذكور انتقال الاملاك العربية الى اليهود فى منطقة من البلاد وترك ذلك حرا فى منطقة أخرى واخضعها لموافقة الحاكم العام فى الأجزاء الباقية من البلاد •

واذا ما فشل الكتاب الابيض فى كسب رضاء العرب بما يخص اقامة الحكم الذاتى فى البلاد ، فانه أثار غضب اليهود ونقمتهم فى وقت كان الضغط شديدا على يهود المانيا واقطار اوربا الوسطى ، لما اقترحته الحكومة البريطانية بشأن تحديد الهجرة والسماح بادخال خمس وسبعين الف مهاجر فقط بدلا من السماح بادخال جميع اليهود الذين يرغبون بالهجرة الى فلسطين • ومعنى هذا الاقتراح ابقاء اليهود دائما اقلية فى فلسطين ، وذلك كما يزعمون يتنافى والوعود التى قطعت بعدم اخضاع أية طائفة الى الاخرى • وقد لاقى الكتاب الابيض مقاومة عنيفة فى البرلمان الانكليزى ؛ كما أعلنت لجنة الانتداب فى عصبة الامم بان الكتاب الابيض يفسر الانتداب تفسيرا جديدا • ولذا فانها قررت ، بأربعة أصوات ضد ثلاثة ، ان الانتداب لا يمكن ان يفسر التفسير الذى ذهب اليه الكتاب الابيض • وقبل ان يتخذ مجلس العصبة قرارا بشأن الموضوع أعلنت الحرب العالمية الثانية ووضع الكتاب الابيض على الرف •

- ٤ -

فى عام ١٩٢١ توجه الامير فيصل الى العراق ، ورشح لعرش العراق بتأييد من قبل الحكومة البريطانية التى أعلنت انها تعتبره أكثر المرشحين لعرش العراق صلاحا ، وبمساندة العراقيين ممن ساهموا معه فى تشكيل الحكومة السورية ، والذين استلموا ادارة البلاد بعد الغزو الفرنسى لسوريا وعودتهم الى العراق • ونجد أقوى مبررات اختياره لهذا المنصب فيما ساد البلاد من استقرار وهدوء بعد اعتلائه عرش البلاد • فانه حاز على رضاء أكثر سكان البلاد حتى اولئك الذين ناوؤه فى أول الامر ، وقابلوا ترشيحه للعرش ببرود • واشترط مجلس الدولة ان تكون الحكومة الجديدة

دستورية انتخابية ديمقراطية يقيد سلطتها ما اختطته البلاد لها من دستور • وقد سارت بيعة الشعب لفيصل سيرا حسنا فى جميع مراحل القطر باستثناء المناطق الكردية •

ومع ان « الانتداب » كان يستهدف الوصاية الوقتية ، الا ان العراقيين كانوا يفسرون الانتداب بانه نوع من الاستعمار أو التابعية ، أو انه صنف من اصناف الحماية البعيدة عن الآمال التى كان العرب ينشدونها عندما قاموا بثورتهم خلال الحرب • وللتغلب على هذه المشكلة تقرر ان تنظم الحكومة البريطانية علاقاتها مع العراق على أساس معاهدة تمكن الدولتين من التحرر من الالتزامات التى فرضها عليها صك الانتداب • فبحسب المعاهدة البريطانية التى عقدت فى شهر تشرين الاول من عام ١٩٢٢ ، تعهدت الحكومة البريطانية بأستخدام نفوذها لضمان دخول العراق الى عصبة الامم فى اول فرصة ممكنة • وبعد عام من عقد تلك المعاهدة وقع كل من بريطانيا والعراق على بروتوكول جاء فيه انه اذا ما اصبح العراق عضوا فى العصبة تلغى المعاهدة • وبقيت المعاهدة بصيغتها الراهنة حتى عام ١٩٢٥ ، عندما اوصى مجلس العصبة نتيجة شكه فى كفائة العراق فى الحكم الذاتى ان يستمر الانتداب خمس وعشرين عاما آخر ، ما لم يقبل العراق خلال ذلك لعضوية العصبة ، عندئذ ينهى الانتداب • اما البروتوكولات الملحقة بالمعاهدة فقد ضمنت انتقال السكك الحديدية والميناء والاشغال العامة الى الحكومة العراقية • كذلك اقرت تأسيس نظام عدلى مستقل الى حد كبير ، يعتر خطوة تقدمية بالنسبة الى الامتيازات الاجنبية ، كما أقرت استخدام المستشارين البريطانيين فى الحكومة العراقية •

وجابهت الحكومة العراقية الفتية كثيرا من المشاكل ، بعضها يتعلق

بأسلوب الحكم وبعضه الاخر بأستتاب الامن والنظام ، وبعضها ذات طابع دولى وعلاقة بحدود البلاد الشمالية • ولم يكن بد من مجابهة المشاكل الاخيرة ، لانه كان متعذرا عقد صلح مع تركيا ما لم تستثن قضية الموصل من شروط معاهدة الصلح ، ريثما يوجد لها حل يرضى الجميع • وتطلب حل هذه العقدة وقتا طويلا دام عامين بعد التوقيع على معاهدة الصلح • فلم يكن من الهين على الاتراك وهم فى عز ثورتهم ، التنازل عن ولاية الموصل ، كما تنازلوا عن مطالبهم فى الولايات العربية الاخرى المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية • وسبب ذلك كما كانوا يعتقدون ان ولاية الموصل تضم طائفة من السكان منحدرة من عنصر تركية ، كما ان فيها عددا ليس بالقليل من الاكراد ، الذين لو تركوا خارج نطاق السيطرة التركية لصار لهم تأثير فى اثارة الاكراد الباقين بتركيا • سيما وان اكراد العراق استطاعوا خلال فترة الادارة البريطانية من الحصول على بعض الامتيازات التى كانوا محرومين منها فى العهد التركى • منها استعمالهم اللغة الكردية فى المدارس وفى المعاملات الرسمية ، وتأليف جيش من الاكراد بأمرة ضباط من جنسهم ، وممارسة بعض الصلاحيات المالية التى من شأنها ان تجعل المناطق الكردية مستقلة بعض الاستقلال • ولما وجدت بريطانيا نفسها عاجزة عن الاتفاق مع تركيا بشأن الموصل اضطرت الى عرض قضيتها على عصبة الامم • فوضع مجلس العصبة حدودا جديدة فاصلة بين العراق وتركيا بحيث ابقت للعراق جميع ولاية الموصل • فأغضب هذا التحديد تركيا ورفضته مولية وجهتها نحو روسيا ، التى كانت مستعدة لاغتنام الفرص عاقدة معاهدة عدم اعتداء بين البلدين • ومع هذا فأن المحادثات التى اجريت بين بريطانيا وتركيا والعراق ادت الى التوقيع فى عام ١٩٢٦ على معاهدة ، وافقت تركيا بحسبها

على الحدود المقررة من قبل العصبة شريطة أن تتسلم تركيا مقابل ذلك ولمدة خمس وعشرين عاما جزءا مما تتسلمه حكومة العراق من عوائد النفط المستخرج من ولاية الموصل •

ومما لا ريب فيه ان النفط احتل المحل الاعلى فى المفاوضات التى جرت بشأن الموصل • ففى احدى المناسبات عرضت الحكومة التركية على المؤسسات المالية البريطانية ، بدافع التودد للحكومة البريطانية ، ليس فقط امتيازات المنطقة المختلف عليها فقط ، بل وحتى استغلال عدد من الموانى التركية ، ومد بضع آلاف اميال من الخطوط الحديدية داخل البلاد • وفى ظرف آخر ، ولكى تنال تأييد اميركا فى مؤتمر لوزان ، عرضت الحكومة التركية على المؤسسات المالية الاميركية امتيازات اقتصادية واسعة ، تشمل حتى امتيازات استغلال حقوق النفط فى ولاية الموصل • وقد استطاعت الحكومة البريطانية الحصول على امتياز نفط الموصل ، على اساس ان الشركات البريطانية لها الحق فى امتياز نفط الموصل مستندة الى وعد تحريرى وجهه الصدر الاعظم التركى الى شركة النفط التركية ، التى تتألف أسهمها من ٥٠ ٪ لشركة النفط الانكليزية الفارسية و ٢٥ ٪ لكل من شركة شل والشركات الالمانية • وبحسب الاتفاق الذى عقد فى سان ريمو عام ١٩٢٠ تم نقل اسهم الشركات الالمانية الى الشركات الفرنسية كما اشترط ان تكون الشركة تحت السيطرة البريطانية الدائمة • غير ان حكومة الولايات المتحدة رفضت الاعتراف بمطاليب شركة النفط التركية ، ذلكم لان القرار السالف يخالف قاعدة تساوى الظروف لرعايا جميع الشعوب المسؤولة عن الاقطار الخاضعة للانتداب • وتخفيفا لحدة المقاومة الاميركية نقلت نصف اسهم شركة النفط الانكليزية الفارسية ، ونصف اسهم شركة

النفط التركية ، التى سميت شركة نفط العراق ، الى الشركات الاميركية • واستطاعت الشركة الجديدة من الحصول على امتياز النفط من حكومة العراق • وبدء النفط يتدفق بكميات غزيرة في موقع بالقرب من كركوك منذ عام ١٩٢٧ • وفى عام ١٩٣٤ شرع بنقل النفط من حقول كركوك الى حيفا وطرابلس فى انبوب ينقسم الى قسمين فى موقع يقع على نهر الفرات •

ومع ان مجلس الدولة الذى ألف بعد صدور بيان القائد البريطانى العام فى عام ١٩٢٠ كان يعد بمثابة نواة للحكومة العراقية المستقلة ؛ فأن القائد العام ظل رئيسا للحكومة • ولهذا سرعان ما استغل نفوذه عندما ظهر أن ثمة تلكؤ يبدو من العراقيين فى قبول المعاهدة المراد عقدها مع العراق • وتم التوقيع على المعاهدة نتيجة ذلك الضغط ، غير ان المجلس المنتخب حديثا عدل بعض بنودها عندما عرضت عليه • وكان من نتيجة ذلك التعديل انانتهت مهمة القائد العام ، بوصفه رئيسا للسلطة التنفيذية ، وأصبح مستشارا لحكومة العراق • ومع ذلك فأنه ظل حتى عام ١٩٣٢ عندما انضم العراق الى عصبة الامم مسؤولا عن العراق ازاء العصبة • يضاف الى ذلك ان كلمته ظلت العليا فى بعض القضايا السياسية الخاصة ، وفيما عدا تلك القضايا فان مهمته اقتصرت على تقديم المشورة للحكومة ، وليس على الحكومة الاخذ بما يقترحه •

على ان التعهد الذى قطعته الحكومة البريطانية على نفسها فى عام ١٩٢٢ ، بشأن ترشيحها العراق لعضوية عصبة الامم ، لم يتحدد الا فى عام ١٩٢٩ عندما وعدت بأنها ستقوم بتحقيق وعدها فى عام ١٩٣٢ • واعقب ذلك الوعد عقد المعاهدة الانكليزية ـ العراقية فى عام ١٩٣٠ • واشترطت فيها أن تظل المعاهدة نافذة المفعول مدة خمس وعشرين عاما من تاريخ دخول العراق عصبة الامم • وقد نصت المعاهدة على التعاون بين الطرفين

فى الشؤون الخارجية ، وفى تقديم المعاونات المتبادلة حالة نشوب حرب • وتتضمن المساعدات العراقية ابداء جميع التسهيلات اللازمة ، واستخدام ما فى البلاد من سكك حديدية ومطارات وغير هذه من المرافق العامة • وتأجير قواعد جوية الى بريطانيا العظمى مقابل ما ستقدمه هذه من مساعدات عسكرية الى العراق • كذلك اشترطت المعاهدة انه اذا ما احتاجت الحكومة العراقية الى الخدمات الاجنبية فان الرعايا البريطانيين هم المفضلون ، وان السفير البريطانى فى بغداد يتقدم جميع ممثلى الدول الاخرى فى الاحتفالات الرسمية •

وبعد مضى بضعة اشهر على عقد المعاهدة اشعرت الحكومة البريطانية عصبة الامم برغبتها لترشيح العراق لعضوية العصبة فى عام ١٩٣٢ بدون قيد أو شرط • وقابلت العصبة هذا الطلب بادىء الامر ببرود ، لانها كانت فى شك من مصير الاقليات فى العراق ، ومن درجة تقدم العراق اداريا واجتماعيا وسياسيا • ولو قدر الرفض لذلك العرض لاعتبر العراقيون بريطانيا ناكثة بوعدها ، ومسؤولة عن عدم دخولهم العصبة • ولهذا خولت الحكومة البريطانية المندوب السامى فى العراق اشعار لجنة الانتداب « اذا ما ثبت بان العراق غير جدير بالثقة التى أوليت اليه فان المسؤولية الادبية لذلك تقع على عاتق الحكومة البريطانية » • واخيرا وافق مجلس العصبة على قبول العراق الى عضوية العصبة على ان يتعهد بضمان حقوق الاقليات ، وبسلامة القضاء ، وبتنفيذ القانون الدولى ، وغير هذه من التحفظات • وقد وقع العراق على ذلك التعهد وقبل لعضوية العصبة فى تشرين الاول من عام ١٩٣٢ •

ولم تمض اعوام ثلاثة على التعهد الادبى الذى قدمته بريطانيا الى

العصبة نيابة عن العراق ، حتى بدر من العراق ما يناقض ذلك التعهد ، عندما سفك العراقيون دماء نيف وثلثمائة آثورى بينهم نســـاء واطفال • ومصدر هذا الحادث كره متبادل بين الآثوريين والعراقيين • فقـد رفض العراقيون قبول هذه الفئة من اللاجئين وهى تختلف عنهم عنصرا ودينا ولغة ؛ والتى نزحت الى العراق من موطنها الاصلى فى تركيا بقرار من عصبة الامم • ولا ريب ان معضلة اسكان الآثوريين فى العراق ، أو فى غيره من الاقطار المجاورة ، تعقدت كثيرا نتيجة ما اظهره الآثوريون من نزعة • فكـــانوا يحسبون انفسهم بحماية بريطانيا ، ولهذا لهم ان يقوموا بما يشاؤون • وبدأت مذبحة الآثوريين بعدما عاد بضع مئات من الآثوريين من سوريا ، وكانوا قد ارتحلوا عن العراق بدون اذن من السلطات العراقية • ومع ان الحكومة البريطانية كانت مسؤولة عنهم ، الا انها كانت عاجزة عن الوقوف بوجه الحكومة العراقية ، لكى لا تمنع الآثوريين من الدخول الى البلاد ثانية • الامر الذى جعلها فى وضع حرج بالنسبة للعراقيين والى الآثوريين • ولما عرضت قضية الآثوريين على العصبة اعتذر الممثل العراقى للشـــدة التى اتخذتها السلطات العراقية معهم ، وايد للعصبة بأن الحكومة العراقية على استعداد لمعاونة اولئك الآثوريين الذين يرغبون بترك العراق ليستقروا فى قطر آخر •

وكان اكراد العراق وهم الاقلية الكبرى فى المملكة يظهرون استيائهم لاغفال ذكر قضيتهم فى المعاهدة العراقية الانكليزية أو لعدم اعطاء أى تعهد بشأن مستقبلهم لعصبة الامم • سيما وان معاهدة سيفر كانت عاملا مشجعا لهم لطلب الوحدة مع اكراد تركيا وايران ، وللمطالبة بمنحهم حكما ذاتيا • ومما يجب الا يغرب عن بالنا ان اكراد العراق لم يكونوا يرغبون أن يخضعوا

لحكومة العراق • وقد عرقلت الثورات العديدة التى قام بها بعض الفئات من الاكراد الجهود التى كان المندوب السامى يبذلها لاقناع حكومة العراق لمنح المنطقة الكردية نظاما خاصا • وكانت تلك الثورات تنم عن مطامع شخصية وليست ناجمة عن تذمر عام من نظام الحكم •

ولم تسر العلاقات البريطانية العراقية السير الحسن الذى كان متوقعا ، بعد أن تمتع العراق باستقلاله • وقد يقول المتطرفون ان السبب فى ذلك القيود التى فرضت على العراق والتى اعاقته عن ممارسته الاستقلال التام • غير ان المشكلة ابسط من ذلك كثيرا • فان الملك فيصل وان كان كثيرا ما يشجع العناصر المتطرفة فى شعبه ، كان يعطى أهمية كبيرة لتوطيد العلاقات البريطانية العراقية • ومن سوء الحظ ان الاجل عاجله عام ١٩٣٣ ، فاعتلى العرش بعده ولده الملك غازى وظل فى الحكم ستة اعوام • وكان هذا الملك فى عنفوان شبابه يفيض وطنية وروحا عسكرية •

وحدث فى عام ١٩٣٦ انقلاب عسكرى ، تألفت على اثره حكومة عسكرية ، ظلت فى الحكم عاما واحدا • ومنذ ذلك الحين حتى عام ١٩٤١ كان الطابع العسكرى يغلب على جميع الحكومات التى الفت خلال تلك الفترة • وهذا ما شجع انتشار الروح الاعتدائية فى العراق ، حتى ان الحكومة العراقية لم تتردد فى المطالبة بالكويت على أساس ان هذا الميناء كان فى العهد العثمانى قضاء تابعا الى ولاية البصرة • كذلك اخذت النازية تثبت اقدامها فى البلاد ، فلم يتورع الالمان عن استغلال الروح الوطنية من اجل تحقيق اغراضهم • ولم يكن الوزير المفوض الالمانى فى بغداد بحاجة الى قوى خارقة لاكتشاف الممالئين للحركة النازية ، الذين كانوا يعتقدون بأن انسلاخ بلادهم عن تركيا كان نتيجة للثورة العربية ، وان ما حازت عليه من حكم

ذاتي كان نتيجة ثورة عام ١٩٢٠ • ومما زاد في اندفاع هـذه الفئة من الشباب نحو النازية استيائهم من وضع البلاد وتباطؤ تطورها المتوقع • وكان الوزير المفوض الالماني يستغل كره العرب للصهيونية في نشر دعاياته ضد اعدائه • والعراقيون شأن ابناء العربية الآخرين يناهضون هجرة اليهـود الى فلسطين ، ويعتقدون بأن فتح باب الهجرة مخالف للوعود التي قطعت الى العرب خلال الحرب • وكان من اثر هذه العوامل كلها انه ما حلت سنة ١٩٣٩ حتى اصبح الجو السياسي في البلاد غير ملائم للتعاون زمن الحرب كما تفرضه معاهدة سنة ١٩٣٠ •

- ٥ -

وما دام فيصل على عرش سوريا ، فان شرق الاردن كانت تعد جزءا لذلك القطر ، مع ان الادارة السورية يوم ذاك كانت من الضعف بحيث انها عجزت عن مقاومة غزوات الصحراء ، تلك الغزوات التي لو لم تصدها الجيوش البريطانية لكانت الفوضى والفقر النتيجة المنتظرة للبلاد • على ان اعلان الانتداب الفرنسي على سوريا ادى الى انسحاب البريطانيين من سوريا ومن شرق الاردن ايضا وان ظل المندوب السامي في القدس مسؤولا عن استتباب الامن في شرق الاردن • وبعد مؤتمر القاهرة عهد حكم البلاد الى الامير عبدالله ، وتعهدت بريطانيا بمساعدته ماليا مقابل تعهده بمقاومة ايـة حركة عدائية في شرق الاردن ضد فرنسا • ومع ان الامير عبدالله كان يمني نفسه بعرش العراق ، وقد اختاره له المؤتمر السوري ، كما اختار فيصلا لعرش سوريا ، الا انه قنع بتوليه امارة شرق الاردن • وباشر الامير عبدالله فور توليه الامارة في خلق ادارة مستقرة فيها وسط مشاكل متعددة ، منها

غزوات الصحراء ، والمشكلة الصهيونية فى غرب البلاد ، ووجود الانتداب الفرنسى فى شمالها • ولم تقتصر المساعدات البريطانية على المال وحده ، بل شملت المشورة الادارية ، وتخصيص عدد من الضباط البريطانيين لتدريب الفرقة العربية (وكانت هذه الفرقة جزءا من قوات الامن فى فلسطين) • وكانت هذه القوى تدعمها الطائرات البريطانية والسيارات المصفحة لصد العدوان الوهابى المتزايد • والواقع ان الطائرات البريطانية قضت قضاءا مبرما على الغزوات الوهابية عام ١٩٢٤ •

وقد استطاعت الحكومة البريطانية من اقناع عصبة الامم من اعفاء شرق الاردن من بعض نصوص صك الانتداب ، ولا سيما منها تلك التى تتعلق بالوطن القومى اليهودى • وكان الصهيونيون يدعون بأنهم بموافقتهم على هذا الاعفاء ، فانما يتنازلون عن وعد قطع لهم سابقا • ومما لا ريب فيه ان رسائل مكماهون ، مع كل ما ورد فيها من ابهام ، اعتبرت شرق الاردن من الاقطار التى سيستقل العرب فيها • وتوطدت العلاقات بين بريطانيا وشرق الاردن فى عام ١٩٢٨ ، عندما تم التوقيع على معاهدة اتفق على اصولها واخذ بتطبيقها منذ عام ١٩٢٣ • فبحسب هذه المعاهدة اعتبرت الحكومة البريطانية حكومة شرق الاردن حكومة مستقلة شريطة أن تتبع نظاما للحكم دستوريا وان تتبع سياسة ادارية ومالية تؤمن للبلاد ، استقرارا ونظاما حكوميا ثابتا وميزانية متوازنة • ووافق الامير عبدالله على قبول المشورة البريطانية فى الشؤون السياسة الخارجية •

- ٦ -

من المشاكل التى جابهتها الحكومة البريطانية ، العداء الشديد المتحكم بين حليفين من حلفائها ـ الملك حسين وابن السعود • فمما يؤسف له ان

هذين الزعيمين لم يجتمعا معا فى حياتهما ، ولو قدر لهما الاتصال الشخصى لما فشل الملك حسين فى التثبت مما كان يتمتع به خصمه من مزايا ومن حذق سياسى ، ولادرك ان خصمه شخص يقابل الاستفزاز بما هو أشد منه • وقد بدأ الصراع بين الخصمين عندما اعتدى الوهابيون على جزء من اراضى الحجاز واستولى ابن السعود على واحتى خرمة وترابة • ففى عام ١٩١٨ تعجل الملك حسين بطلبه من ابن السعود أن يعترف له بأنه ملك العرب • فلما اغفل ابن السعود ذلك الطلب اخذ الملك حسين يحرض عائلة الرشيد فى حائل ضد ابن السعود • ولا ريب ان احتلال ابن السعود لمدينة حائل وفشل الامير عبدالله باسترداد ترابة من الوهابيين عام ١٩١٩ ، أفقد الملك حسين صوابه • وقد حاولت الحكومة البريطانية فى اواخر عام ١٩٢٣ تقريب وجهات النظر بعقدها مؤتمرا بين نجد والحجاز والعراق وشرق الاردن • غير ان تلك المحاولة باءت بالفشل منذ البداية ، لان الملك حسين رفض أن يبعث بممثل عنه ما لم يوافق ابن السعود ، وقبل انعقاد المؤتمر ، على بعض الامتيازات الاقليمية التى كان من المتعذر تحقيقها • وكان الملك حسين يوم ذاك فى وضع لا يستطيع السيطرة على عشائره المرابطة حول مكة والمدينة لمنعهم من جمع ما يفرضونه على الحجاج الوافدين على الحجاز من الاقطار الاسلامية الاخرى من جزية •

وبعد أن ألفت الحكومة البريطانية نفسها عاجزة عن ازالة الخلافات بين كل من ابن السعود والملك حسين ، اضطرت الى ايقاف المساعدات المالية فى عام ١٩٢٤ عن ابن السعود • وقد ظلت تدفعها له بانتظام طيلة اعوام عديدة حتى بعد أن أوقفت المساعدات المالية الضخمة التى كانت تدفعها للملك حسين • وبعد ايقاف المساعدات المالية بعام واحد ، قام الوهابيون بحملة

مركزة على الحجاز واستولوا عليه • وعند عقد معاهدة جدة فى عام ١٩٢٧ اعترفت بريطانيا بالوضع الجديد الذى اتخذه لنفسه الملك ابن السعود • وتختلف هذه المعاهدة عن معاهدة عام ١٩١٥ التى تم عقدها بين ابن السعود ونائب الملك فى الهند ، على غرار المعاهدات المعقودة مع حكام امارات الساحل المهادن • ففى معاهدة عام ١٩٢٧ اعتبر ابن السعود فى صعيد واحد وملك بريطانيا ، كما اعترفت الحكومة البريطانية « باستقلال الاقطار التى يحكمها جلالة ملك الحجاز ونجد استقلالا كاملا مطلقا » • ونصت احدى مواد المعاهدة على المكانة الخاصة التى تتمتع بها بريطانيا فى الخليج • فبحسب تلك المادة تعهد ابن السعود « بان يحافظ على العلاقات الودية بينه وبين امارتى الكويت والبحرين ومشايخ قطر وساحل عمان الذين تربطهم بالحكومة البريطانية معاهدات خاصة » •

كذلك تعهد ابن السعود فى تلك المعاهدة « بأن يتعاون مع الحكومة البريطانية بجميع ما لديه من امكانيات لمقاومة تجارة الرقيق » • ويعتبر هذا التعهد ضربة قاصمة لتجارة الرقيق ، تلك التجارة التى سبق للحكومة البريطانية ان أعلنت الحرب عليها منذ قرن من الزمن • والحقيقة ان جميع المعاهدات التى عقدت مع حكام امارات الخليج الفارسى تتضمن نصوصا تهدف الى مقاومة تلك التجارة ؛ وان سلطات الخفارة البحرية البريطانية فى البحر الاحمر والخليج الفارسى ساهمت كثيرا فى عرقلة تلك التجارة عرقلة كبرى جعلتها عالية الكلفة • ومما يجب الا يغرب عن البال ان دستور عام ١٩٠٨ منع الاتجار بالرقيق فى جميع الامبراطورية العثمانية ، ومع ذلك فانه لم يكن ذا تأثير فى البلاد العربية • فقد ظلت اليمن والحجاز ونجد سوقا رائجة للرقيق • وزاد الاتجار بالرقيق بعد ازدياد الطلب عليهم • فكان يؤتى

بالرقيق من بلاد الحبشة الى أسواق الاقطار العربية المتاخمة للبحر الاحمر • وكان الملك حسين يؤمن بأن الاسترقاق يبيحه القرآن ، ولذا فانه كان لا يرضى عن تصرفات الوكالة البريطانية فى جدة عندما كانت تقبل دخالة الرقيق اللاجئين اليها • وكان ابن السعود لا يختلف بنظرته للرقيق عن نظرة خصمه ، ومع ذلك فان حركة عتق الرقيق فى بلاد العرب آخذة فى التنامى والتزايد ، وان كانت بطيئة السرعة • فثمة دوافع دينية وانسانية تزيد فى عتق الرقيق • فمن تقاليد العرب ان امة تلد مولودا من سيدها لا يمكن ان تباع أو ان تسخر فى الاعمال المستهجنة • وتعتبر حرة طليقة بعد وفاة سيدها • وكان يؤمل من ابن السعود ، بما يتمتع به من سلطة عظيمة ، انه سيتمكن من القضاء على استيراد ارقاء جدد الى بلاده ، وبذلك سيقضى على تجارة الرقيق فى بلاد العرب • وبعد توليه الحكم فى الحجاز بعشر سنوات أصدر ابن السعود قانونا يقضى بمنع ادخال أى شخص الى بلاده يمكن ان يباع ويشترى فى سوق النخاسين ، ما لم يكن مزودا بوثيقة تثبت انه كان عبدا قبل تاريخ حدده ذلك القانون • واعتبرت الحكومة البريطانية صدور هذا القانون مبررا لالغاء لجنة عتق الارقاء فى المملكة العربية السعودية •

وليس من المغالات ان يقال ان صداقة ابن السعود لبريطانيا كانت ثابتة وطيدة منذ توليه الحكم فى بلاده ، ولم يبدر منه ما يعكر صفوها • ومع ان الملك حسين ظل يتمتع بالمساعدات البريطانية لبضع سنوات بعد ان أظهر العداء لابن السعود ، وأخذ موقفه هذا يسىء الى المصالح البريطانية ، ومع ان بريطانيا ساندت أولاد الحسين ، أمير شرق الاردن وملك العراق عندما هاجم الوهابيون هذين القطرين فاستخدمت بريطانيا جنودها لصد العدوان الوهابى ، فان العلاقة البريطانية السعودية ظلت على أحسن حال حتى عندما

أخذت الاضطرابات تتفاقم فى فلسطين • ومع ان ابن السعود كان مستعدا دائما لتأييد قضية العرب بالطرق الدبلوماسية اما بمفرده أو مشتركا مع ملوك العرب الآخرين ، فان ابن السعود رفض ان يساهم فى اضطرابات فلسطين ، وأكثر من ذلك انه استغل نفوذه لاخمادها • وزادت العلاقات الحسنة بين الطرفين توطيدا فى عام ١٩٣٨ ، عندما زارت الاميرة اليس وارل ائلون جدة والرياض • وكانت تلك الزيارة فألا حسنا للعرب فانها اقترنت بهطول الامطار بعد انحباسها بضع سنوات • كذلك ان الشركة الاميركية التى كانت تتحرى عن النفط فى بلاد نجد توصلت الى اكتشاف بئر تدفق منه النفط بغزارة غير متوقعة •

- ٧ -

ومع ان الحلفاء أقروا استقلال اليمن عن تركيا بعد الحرب ، فان ذلك لم يحسن العلاقات بين امام اليمن وبريطانيا • فانه ما ان تخلص من نير الاتراك حتى أخذ يتجاوز على حدود محمية عدن غير مكترث بالحدود التى تم الاتفاق عليها ، بين الحكومتين البريطانية والتركية عام ١٩١٤ • وربما كان تعنت الامام ورفضه الاتفاق على الحدود ، بتحريض من الايطاليين • فلما اضطرت الحكومة البريطانية بعد تحذيرات متكررة الى طرد جيوش الامام من بلاد عدن ، رضخ الامام الى عقد معاهدة عام ١٩٣٤ ، اعترفت بريطانيا فيها باستقلال اليمن كما أقر الامام بان الوضع الراهن للحدود اليمنية العدنية سيحدد بعد اجراء مفاوضات بين الطرفين • كذلك تعهد الامام بابداء المساعدات اللازمة للقضاء على تجارة الرقيق الافريقية •

ومع جميع ما بذله الايطاليون من جهود فانهم حتى بداية الحرب العالمية الثانية لم يستطيعوا ان يفوزوا بمكانة سياسية ممتازة فى اليمن • ولا

يعزى ذلك الى التعهدات التى أعطتها الحكومة الايطالية فى الاتفاق الانكليزى ـ الايطالى المعقود عام ١٩٣٧ ، وانما يعزى الى خوف الامام من الاجانب ومقاومته لاى نفوذ أجنبى ربما يتسرب الى البلاد من أى طرف كان •

- ٨ -

وكان الاشراف على شؤون عدن قبل الحرب العالمية الاولى من مسؤوليات حكومة بومباى ، وفى خلال فترة ما بين الحربين انتقلت تلك المسؤولية الى حكومة الهند أولا ثم الى وزارة المستعمرات • وقد ظلت محمية عدن التى تحادد من جهة مستعمرة عدن واليمن والصحراء وسلطنة مسقط من جهة أخرى ، على ما كانت عليه سابقا من نظام للحكم • ولكن فى عام ١٩٣٧ بذلت جهود من أجل توطيد الامن والسلام بدلا من العداء المستحكم بين القبائل المستوطنة فى الاقليم ، عسى ان تتحسن أحوالهم فيعم بينهم الرخاء • فكانت نتيجة تلك الجهود ان اقتنع بضع مئات من رؤساء القبائل على اختلاف درجاتهم وتباين أهميتهم بضرورة عقد ميثاق عدم اعتداء مدة أعوام ثلاثة ، كان من أثره ان حدث تحسن كبير فى الاحوال المعاشية لتلك القبائل ، كما صار فى مقدورهم التنقل من موضع الى آخر فى البلاد دون أى خطر • واشترطت حكومة عدن عليهم ان أى من رؤساء القبائل يرفض تنفيذ الميثاق أو يأبى دفع الغرامة التى تفرض عليه من قبل حكومة عدن فان مساكن قبيلته ستكون عرضة للقصف الجوى • ومع ان هذه السياسة لاقت انتقادا مرا فان اتباعها للقضاء على الفوضى الضاربة اطنابها فى البلاد ، كان أمرا لابد منه • فالاقناع دون عقاب رادع لا تأثير له فى تلك القبائل ، سيما اذا ما علمنا ان من شأن حملات المشاة ان تذهب بأرواح الكثيرين من الجنود المحليين وضباطهم

البريطانيين أو العرب • كما ان هذه الحملات ستبيد عددا كبيرا من العصاة أكثر مما يبيده منهم القصف الجوى • وكانت السلطات الحكومية لا تلجأ الى هذا التدبير الا بعد انذار متكرر يعين فيه موقع القصف وزمانه •

- ٩ -

ان معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة التى تم عقدها مع مسقط عام ١٩٣٩ لم تبق وضعا خاصا لبريطانيا ؛ فمسقط لم ترق لاكثر من محمية بريطانية • اما البحرين فانها فازت بأهمية خاصة بعد ان اكتشفت احدى الشركات الاميركية النفط فيها ، وبعد ان انشئت قاعدة بحرية بريطانية فيها منقولة من احدى جزر الخليج • وبالاضافة الى ذلك فان البحرين تتمتع بمطار جوى طبيعى يعد حلقة هامة من سلسلة المطارات على الساحل العربى من الخليج • وكانت تلك المطارات تفى بالغرض ، ولكن بعد ان تطورت وسائط النقل الجوى اصبحت قليلة الفائدة • واكتشف النفط فى الكويت وفى بعض الامارات التى يدير شؤونها مشايخ يرتبطون مع بريطانيا بمعاهدات خاصة • وتستثمر نفط الكويت شركات بريطانية واميركية متكافئة الاسهم • اما امتيازات النفط فى الامارات الاخرى فتمتلكها شركة نفط العراق •

- ١٠ -

وما ان تم التوقيع على شروط هدنة مودروس حتى بلغ التأزم فى العلاقات الانكليزية المصرية حده الاعلى • فبالاضافة الى الاستياء العام الناشىء عن ظروف الحرب فان الاحزاب المصرية رفضت قبول اعلان الحماية على بلادهم • وقد ظل الوضع بين مصر وبريطانيا متأزما مدة ثماني عشر شهرا قبل

ان يتم عقد اتفاق بين الطرفين • واذا ما كانت الحكومة البريطانية بطيئة فى ادراكها الوجهة التى يتجهها عالم ما بعد الحرب ، فان السياسيين المصريين لم يتورعوا عن اثارة الشعب ويجبنون عن اخباره بتعذر تنفيذ مطالبه • ولا ريب ان أهم قادة الحركة الوطنية فى مصر كان سعد زغلول باشا ، مؤسس الوفد المصرى ، وقد سمى حزبه بهذا الاسم نسبة الى الوفد الذى توجه الى المندوب السامى البريطانى فور عقد الهدنة وطالب باستقلال البلاد استقلالا كاملا • وكان المصريون يتوقعون ان تخفف بريطانيا من شدة سيطرتها على البلاد ، نتيجة للوعود التى قطعتها بريطانيا الى العرب خلال الحرب وتعويضا للمصريين عما قاسوه من متاعب طوال سنوات الحـــرب • ومع ذلك فان الخطوات التى اتخذتها بريطانيا شددت من سيطرتها على البلاد ، كما يتضح ذلك من تزايد عدد البريطانيين المستخدمين فى الجهاز الحكومى • فقد كان عددهم ثلثمائـة موظف عام ١٨٩٨ ، فصار عددهـم حسب ميزانيـة عام ١٩٢٠ ـ ١٩١٩ الف وسبعمائة موظف بريطانى • وقد رغب الوطنيون بارسال وفد الى مؤتمر السلام المنعقد فى باريس ، الا ان الحكومة البريطانية اعترضت على ذلك ، كما رفضت أن تقابل وفدا مؤلفا من رئيس الوزراء وأحد زملائه • وقد أدى هذا التعنت الى حدوث اضطرابات فى البلاد ، كادت ان تؤدى بها الى ثورة عارمة ، الامر الذى دعى الحكومة البريطانية الى نفى سعد زغلول وثلاثة من صحبه الى جزيرة مالطا • فكان رد الفعل لهذا التدبير ، ان وقعت فى البلاد عدة اضطرابات ، كما حدثت سلسلة من الاعتداءات على البريطانيين ، أدت الى اغتيال عدد من ضباطهم • ولم يتحسن الوضع كثيرا بعد تعيين اللورد اللنبى مندوبا ساميا لمصر ، وكان يظن ان اطلاق سراح المبعدين السياسيين سيهدىء الحالة كثيرا • ولكن الامر كان خلاف ذلك فقد ازدادت الاضطرابات واضطر

اللورد اللنبى الى التهديد باستعمال سلطاته الخاصة • وبعد وصول زغلول باشا وصحبه الى باريس ، تقدموا بمطاليبهم الى مؤتمر السلام ولكنهم لم يلقوا فى المؤتمر من يستمع اليهم • ومما زاد فى الامر تعقيدا ان الرئيس ولسن اعترف بالحماية البريطانية على مصر ؛ مما اسقط بيد المصريين وأقنعهم بان الخلاف بين بريطانيا ومصر يجب أن يسوى بالمفاوضات المباشرة • وارسلت الحكومة البريطانية لجنة برئاسة اللورد ملنر[1] لتقوم بدراسة الوضع الراهن فى مصر ، وتقديم توصياتها لتحقيق التسوية المقترحة للقضية المصرية • غير ان الوطنيين المصريين قاطعوا لجنة ملنر لانها اتخذت الحماية البريطانية على مصر اساسا لبحثها • ومع ما لاقته هذه اللجنة من مقاطعة فانها استطاعت أن تلم بوضع البلاد ، وتقدر ظروفها تقديرا عادلا ، سيما وانها ادركت ان الحركة الوطنية يؤيدها عدد من السكان أكثر مما كانت تتوقعه الدوائر البريطانية فى مصر • وبعد عودة اللجنة الى لندن عقد اللورد ملنر عدة اجتماعات مع زغلول باشا ، ولكنهما لم يتوصلا الى حل ايجابى • ذلكم لان سعد زغلول لم يرض عن الاستقلال التام بديلا ، بينما كانت الحكومة البريطانية تصر على الحماية ، وتتلكأ فى منح مصر استقلالها التام استجابة لرغبة السلطات العسكرية البريطانية التى كانت تصر على ابقاء الجيوش البريطانية فى القاهرة •

ولكن بعد ان وجدت الحكومة البريطانية نفسها عاجزة عن التوصل الى اتفاق مع حزب الوفد أو مع حزب مصرى آخر ، قررت من جانبها اعلان استقلال مصر • واعلنت فى تصريح فبراير لعام ١٩٢٢ انتهاء الحماية على مصر ، وان حكومة مصر ستكون مستقلة • وريثما يحين الوقت المناسب

---

(١) Lord Milner.

لعقد اتفاق يحقق للبلاد استقلالها التام ، فان الحكومة البريطانية تحتفظ بمسؤولية تأمين النقاط الاربع التالية حفظا لسلامة مصالحها :

(١) ضمان سلامة مواصلات الجيوش البريطانية فى مصر •

(٢) الدفاع عن مصر من جميع الاعتداءات الاجنبية والتدخل الاجنبى المباشر وغير المباشر •

(٣) محافظة المصالح الاجنبية فى مصر وحماية الاقليات •

(٤) السودان •

وبعد تصريح فبراير ، اتخذ السلطان لنفسه لقب ملك ، واصبحت مصر مع وجود التحفظات السالفة الذكر سيدة بيتها كما يقال • وسمح لسعد زغلول ، الذى كان منفيا فى سيشل نتيجة معارضته المطاليب البريطانية ، بالعودة الى البلاد • وعندما اعدت مسودة الدستور تدخلت الحكومة البريطانية فى الامر لكى لا يضمن الدستور اية مادة تتعارض والتحفظات ، ولكى تجعله شاملا المبادىء والاسس التى تكفل للشعب المصرى حقوقا اكثر مما كان الملك يرغب بمنحها له • كذلك الغيت الاحكام العرفية التى ظلت مفروضة على البلاد منذ عام ١٩١٤ ، واعلنت الانتخابات فى البلاد فكانت نتيجتها فوز الوفد بأكثرية ساحقة فى المجلس واصبح سعد زغلول رئيسا للوزارة •

ولم تنته الاضطرابات التى اثارها سعد زغلول وصحبه من اجل الحصول على الاستقلال التام واتحاد السودان مع مصر بعد اختياره رئيسا للوزارة المصرية ؛ كما انه لم يحاول اخمادها والتخفيف من وطئتها • فانها كانت لا تقتصر على مصر وحدها بل شملت السودان ايضا ، وكان يذكى نارها المصريون الموجودون هناك بالاشتراك مع بعض السودانيين المتطرفين • على

ان الجيش السودانى لعب دورا هاما فى اخمادها واعادة السكينة الى البلاد • اما فى مصر فقد عانى الجنود البريطانيون وضباطهم سلسلة من الاغتيالات بلغت ذروتها عندما اغتيل سر لى ستاك ، حاكم السودان العام ، والقائد العام (سردار) للجيش المصرى • وكتعويض لهذه الجريمة ، لم تكتف الحكومة البريطانية بالمطالبة بمعاقبة مرتكبى الجريمة ، ودفع تعويض لعائلة القتيل ، وانما اشترطت سحب جميع الضباط المصريين والوحدات العسكرية المصرية من السودان • واعقبت هذا الحادث سنوات هدوء فى مصر • فحادث اغتيال السردار وتفاقم السياسة الاعتدائية الايطالية ، كبحت جماح الرأى العام المصرى • وقد استقال سعد زغلول فور استلام الحكومة المصرية الاحتجاج البريطانى ولكنه اختير لرئاسة مجلس النواب ، وأظهر كفاءة ممتازة وحسن دراية فى قيامه بهذه المهمة الجديدة • وظل فى منصبه هـذا حتى عاجلـه الاجل عام ١٩٢٧ • فلما أقال الملك خليفة سعد ، النحاس باشا فى عام ١٩٢٩ ، وعطل مجلس الامة لمدة سنوات ثلاث سادت السياسة المصرية فترة هدوء ، جرت خلالها مفاوضات بين بريطانيا ومصر • ومع ان تلك المفاوضات لم تثمر الثمرة المرجوة الا انها أدت الى تحسن العلاقات ، وساعدت فى عقد اتفاق بشأن مياه النيل ، أمن حقوق كل من مصر والسودان فى تلك المياه • وظل الوضع فى مصر مترجرجا حتى عام ١٩٣٦ ، عندما امكن عقـد المعاهـدة الانكليزية المصرية نتيجة تنبه المصريين للخطر الذى كان يهدد بلادهم من غزو موسولينى لبلاد الحبشة •

ونصت المعاهدة الانكليزية المصرية لعام ١٩٣٦ على عقد تحالف بين الطرفين المتعاقدين وابقائه نافذا مهما طرأ من تبديل أو تحوير على نصوص المعاهدة • كذلك انهت المعاهدة الاحتلال العسكرى البريطانى ، وحتمت على

الجيوش البريطانية التى حدد عددها بعشرة آلاف محارب من المشاة واربعمائة من رجال السلاح الجوى ، الانسحاب الى منطقة القناة حالما تعد لهم وسائل السكنى فيها • كما نصت احدى موادها على انه فى حالة نشوب حرب ، يساعد الفريقان المتعاقدان احدهما الاخر بوصفهم حلفاء متكافئين •

ولا ريب ان تنفيذ هذا التعهد خلال الحرب العالمية الثانية ساعد كثيرا فى صد عدوان المحور على مصر ؛ وانجاها من ان تصير مستعمرة ايطالية • ومما ورد فى تلك المعاهدة ان الفريقين المتعاقدين سيجتمعان فى عام ١٩٥٦ مسألة ما اذا كانت الجيوش المصرية فى مكانة تستطيع فيها تأمين سلامة الملاحة وحريتها فى قناة السويس • وان المعاهدة وان لم تحل قضية السودان مهدت السبيل الى حلها • ومع انها لم تتطرق لسيادة الدولة ، ونظم الادارة فى السودان ، فانها سمحت للجيوش المصرية التى أخرجت من السودان قبل نيف وعشر سنوات ، بالعودة اليه • كما أجازت هجرة المصريين الى السودان ، على ان تكون تلك الهجرة مقيدة بأحكام قوانين حفظ الامن والنظام والصحة العامة • واشترطت المعاهدة على بريطانيا لزوم تأييد مطلب مصر للانضمام الى عصبة الامم • كما نصت على ان تشترك الدولتان فى المساهمة فى ضمان الغاء الامتيازات الاجنبية ، وان تترك مسؤولية حماية أرواح الاجانب وممتلكاتهم الى السلطات المصرية •

وانهى مؤتمر منترو فى عام ١٩٣٧ مسألة الامتيازات الاجنبية • ومنذ ان تم التوقيع على مقررات هذا المؤتمر ، ألغيت جميع ما كان الاجانب يتمتعون به من امتيازات فى مصر ، باستثناء الامتيازات القضائية التى تقرر انهائها فى عام ١٩٤٩ ، أى عند الغاء المحاكم المختلطة ومحاكم القنصليات الاجنبية •

ومع ان بلاد فارس لم تنظم الى احد الطرفين المتحاربين ، فانها كانت ميدانا حربيا طوال سنى الحرب • فقد كانت البلاد فى حالة فوضى ، وخزينة الدولة خالية خاوية • وكانت فيها ثلاثة اصناف من الجيوش : الدرك الفارسى بقادته السويديين ، يمالى بعضهم الالمان ويقف البعض الاخر على الحياد ؛ القوزاق الايرانيين بضباطهم الروس ؛ وجيش جنوب ايران بقيـــادته الانكليزية • ولما كان استتباب الامن والنظام فى البلاد من الامور الهامة بنظر الحكومة البريطانية وحكومة الهند • فقد حاولت بريطانيا عقد اتفاق انكليزى فارسى ، تتعهد الحكومة البريطانية بحسبه بمد فارس بالضباط الانكليز لاعادة تنظيم الجيش الفارسى ، وجعله جيشا موحدا • كما تتعهد بانتداب عدد من الخبراء الماليين لاصلاح الاوضاع المتردية فى وزارة المالية ؛ وأخيرا اقراض الحكومة الفارسية مليونى جنيه استرلينى • والاسباب المبررة لهذا الاتفاق لم تكن ظاهرة لغير الانكليز ولذلك لاقى الاتفاق معارضة من غير ابناء البلاد فى أول امره • فقد اعترضت عليه حكومتا الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا ، معتبرتان ان القصد من الاتفاق يقتصر على تأمين منافع خاصة لبريطانيا وحدها ، مستغلة بعملها هذا نصرا حققته جهود مشتركة • ولذا فقد وصم هذا المشروع ، على ما فيه من منافع لفارس بوصمة الاستعمار ، فكان مصير ذلك الاتفاق الاهمال • على ان الغرض الرئيسى الذى كان يستهدف من ذلك الاتفاق ، أى استتباب الامن والنظام فى البلاد ، حققته شخصية فارسية فذة ذات مواهب نادرة لم تكن معروفة لاحد • تلك هى رضا خان أحد ضباط القوزاق الايرانيين • ففى عام ١٩٢١ ، حدث فى فارس انقلاب وضع السلطة العليا فى البلاد بيد

صحفي اعتمد في حركته على رضا خان • فلما شكلت الحكومة الجديدة اسندت وزارة الحربية الى رضا خان • وقد رفضت الحكومة الجديدة التصديق على المعاهدة الانكليزية الفارسية سابقة الذكر ، فاعتبرتها ملغاة •

وفي عام ١٩٢٥ اعتلى عرش فارس رضا خان ، وسمي منذ ذلك الحين برضا شاه ؛ وهو أول أفراد الاسرة البهلوية • والغريب انه عندما أخذت أخطاء هذا الملك تتجسم في عقول رعيته بحيث أخذت تطغى على جميع الاصلاحات التي قام بها ، القيت تبعة اعتلائه عرش البلاد على البريطانيين ؛ وليس ثمة دليل يثبت هذا الزعم • ففي الواقع ان الانقلاب حدث على حين غرة بالنسبة للحكومة البريطانية وحتى للمفوضية البريطانية في طهران • ولما كان الشعب الفارسي سائما من الفوضى والاضطراب الذين سادا البلاد سنوات طويلة فقد رحب برمته باستلام رضا خان السلطة العليا ، وبالتالي اعتلائه عرش البلاد • ومما لا ريب فيه ان البريطانيين شأن جميع من كان في البلاد كسبوا كثيرا من اعادة النظام الى البلاد ، ولكنهم عانوا أكثر من أية جالية أجنبية ، من الاحداث السياسية والاقتصادية التي قام بها رضا شاه •

وكان من جراء اتساع سيطرة حكومة طهران على الاقليم ، بعد ان اصبح رضا خان وزيرا للدفاع ، ان سددت ضربة قاصمة لاحد اصدقاء الحكومة البريطانية المخلصين ـ أي الشيخ خزعل أمير المحمرة • فقد سبق للحكومة البريطانية ان قدمت له تعهدات لحمايته من اعتداء أية سلطة أجنبية ، وان تعاونه لايجاد حل مرضي في حالة ما اذا حاولت الحكومة الفارسية سحب سلطته أو اذا لم تعترف بحقوقه ، وممتلكاته في فارس • وفي الوقت ذاته اشترطت عليه ان يخضع وخليفته من بعده الى الحكومة الفارسية وان يبقى مهتديا بمشورة الحكومة البريطانية • كما افهم ان معاونة

الحكومة البريطانية له ستقتصر على العمل السياسى • وهذا ما جعل الشيخ خزعل فى أول الامر يتفق مع الحكومة الفارسية بشأن القضايا المتعلقة بالضرائب • غير ان الاجراءات التى اتخذتها الحكومة مع حكام الاقاليم المجاورة للمحمرة ، أثارت مخاوف الشيخ خزعل ودفعته الى عدم الاعتراف برضا خان وبسياسته • فكان مصيره من جراء موقفه هذا ، ان نقل الى طهران ، حيث ظل معتقلا الى ان وافاه الاجل المحتوم بعد سنوات قلائل من اعتقاله • وهكذا قضى على مشيخته • ومما كان يجب أن يكون واضحا ، ان المكانة الممتازة التى كان الشيخ خزعل يتمتع بها طوال سنوات عديدة ، لابد من ان تتضاءل بعد ان استتبت الامور للحكومة المركزية • ولم يكن من مجال للحكومة البريطانية ان تتدخل من أجل ابقاء الوضع فى المحمرة على ما كان عليه سابقا • ويبدو ان عدم تدخل حكومة طهران بشؤون امارته مدة طويلة ، وصداقته الوطيدة لبريطانيا ، جعلته يقتنع بانه فى مأمن من نوايا الحكومة الجديدة • وربما خلف تخلى الحكومة البريطانية عنه ، وهو فى أشد ساعات محنته ، حسرة مؤلمة فى قلبه •

وبعد ان فرض رضا شاه سلطته على جميع أقسام فارس وجه اهتمامه الى الشؤون الخارجية • ففى عام ١٩٢٧ اشعرت الدول ذات العلاقة بفارس ان جميع الاتفاقات ذات الامتيازات الخاصة ستلغى بعد عام من تاريخ الاشعار • وسوف تعقد بدلها معاهدات جديدة • وقد وافقت الحكومة البريطانية على الغاء الامتيازات الاجنبية • وتم عقد اتفاق بين الدولتين ، تعهدت الحكومة الفارسية بحسبه بان تقدم بعض الضمانات لتطبيق القوانين على الاجانب تطبيقا عادلا ، وان تبنى سجونا صالحة • وبعد عام من عقد ذلك الاتفاق ، أى فى عام ١٩٢٩ اثارت الحكومة الفارسية من جديد مطالبتها بجزيرة

البحرين ، ذلك الطلب الذى كانت حكومة فارس تكرره منذ ان عقدت بريطانيا معاهدة ١٨٢٠ مع البحرين ، ولا سيما فى عام ١٨٦٩ • وسبب اثارة هذه القضية معاهدة ١٩٢٧ التى تتضمن مادة وافق ابن السعود بموجبها على الا يتدخل بشؤون البحرين • وفى مذكرة ارسلت نسخ منها الى جميع الدول الاعضاء فى عصبة الامم ، ادعت الحكومة الفارسية بها بأن وزير خارجية بريطانيا فى عام ١٨٦٩ اعترف بمطاليب فارس فى الجزيرة • وفى الجواب الذى قدمته الحكومة البريطانية والذى أرسلت نسخ منه الى الدول الاعضاء، رفضت مطاليب فارس كما كذبت الزعم القائل باعتراف بريطانيا بذلك الطلب فى عام ١٨٦٩ ، أو فى أى وقت آخر • وقد تكرر احتجاج الحكومة الفارسية من وقت لآخر ، ولاسيما عندما منح شيخ البحرين أول امتياز للنفط فى بلاده ، الى اتحاد شركات بريطانية وأخيرا الى شركة أميركية • وفى عام ١٩٢٩ قدمت الحكومة البريطانية جوابا مطولا كاملا ، فندت فيه مدعيات فارس • وكل ما فى الامر ان فارس غزت البحرين فى عام ١٧٣٢ ، ولم يكن من أثر لمطلبها فى البحرين ، اللهم الا خلق مصاعب لاولئك الذين يرغبون بالسفر بين البحرين وفارس •

وتلى الغاء الامتيازات الاجنبية فى فارس عدد من الخطوات كان القصد منها جعل العلاقات بين بريطانيا وفارس حسنة • فلقد كانت بريطانيا حتى ذلك الحين مسؤولة عن اضائة سواحل الخليج الفارسى ، وعن القيام بالحجر الصحى للقادمين الى فارس • فسلمت بريطانيا هذه المهام الى الحكومة الفارسية • وفى عام ١٩٣١ انسحبت من فارس الشركة الهندية الاوربية للتلغراف •

وفى سنة ١٩٣٥ نقلت محطة تموين الفحم للسفن فى مركزى باسيدو وهنجام الى البحرين ، واصبحت هذه الجزيرة المحطة البحرية البريطانية الوحيدة فى الخليج الفارسى •

وبتزايد نمو الشعور القومى خلال حكم رضا شاه ، ازدادت العلاقات البريطانية الفارسية توترا ؛ وبلغت شدتها فى عام ١٩٣٢ ، عندما اعلن الشاه « الغاء » امتياز شركة النفط الانكليزية الفارسية الذى يمتد حتى عام ١٩٦١ • لقد كانت الحكومة الفارسية تبحث منذ بضع سنوات مع شركة النفط عن الطريقة التى تحسب بها حصتها من ارباح الشركة • تلك الحصة التى لم ترض الحكومة يوما من الايام • ومما زاد فى سخط حكومة فارس تناقص عوائد النفط كثيرا عند حدوث الازمة المالية العالمية عام ١٩٢٩ • وأثار قرار الشاه بشأن امتياز النفط استياء جميع الاوساط فى لندن •

ولكى تحتاط لما قد يحدث نتيجة الغاء الامتياز ، ارسلت الحكومة البريطانية وحدة من السفن الحربية الى الخليج الفارسى ، وبالوقت ذاته عرضت المسألة المختلف عليها ، على عصبة الامم • ولكن العصبة اعادة القضية ثانية الى الطرفين المتنازعين ، وقد توصلا فى عام ١٩٣٣ الى اتفاق جديد • وبحسب هذا الاتفاق مددت مدة الامتياز الى عام ١٩٩٣ ، مقابل ذلك حددت المناطق الخاضعة للامتياز القديم والتى كانت تشمل جميع نواحى البلاد عدا الولايات الشمالية الخمس ، الى مائة الف ميل مربع ، وعلى الشركة ان تقوم باختيارها خلال مدة خمس سنوات • كذلك عدلت عوائد النفط تعديلا أرضى الحكومة ، فأصبحت تشمل ضريبة ثابتة تفرض على الانتاج مقدرا بالاطنان

ولا تتأثر بانخفاض سعر الجنيه الذهبى أو بصعوده • وبالوقت ذاته تعهدت الحكومة الفارسية بالا تلغى أو تعدل الامتياز ، الا بموافقة الطرفين المتعاقدين ، واذا ما اختلفا فيعرض الخلاف على التحكيم • ومن مزايا الاتفاق الجديد ان الشركة الزمت بارسال عدد من شباب فارس الى بريطانيا لدراسة الموضوعات اللازمة لصناعة النفط •

وفى عام ١٩٢٨ عقد اتفاق آخر مع فارس سمح بموجبه لوسائط النقل الجوى القادمة الى الشرق ، أو الذاهبةمنه ان تهبط على أراضى شواطىء الخليج الفارسى • ولكن عندما انقضت مدة الاتفاق وأرادت بريطانيا تجديده اشترطت الحكومة الفارسية ان يكون الخط الجوى على امتداد الجبال عبر مدينة شيراز • ولما كان هذا الشرط مضرا بصالح الخطوط الجوية البريطانية فانها اضطرت الى نقل مطاراتها الى الساحل العربى •

واتبع رضا شاه ، فيما يخص التجارة الخارجية والعملة وقيود اخراج البضائع ، وسائللا تتلائم وما ألفه البريطانيون سابقا ، وانما كانتتنمشى ونظام هتلر • كذلك اعتبر انتاج فارس مكملا لانتاج المانيا • فلدى فارس وفرة بمواد الخام ، وبعض المواد الغذائية الصالحة للتصدير ، ولدى المانيا مواد مصنوعة تحتاج لها فارس • وهذا ما جعل المانيا ان تضع يدها على تجارة فارس وتستخدمها من أجل تحقيق نفوذها السياسى • فقد تمكن الالمان من الحصول على جزء كبير من تجارة فارس وساعدهم فى ذلك رغبة الشاه فى تصنيع بلاده • فقدعهد الشاه الى الالمانبتأسيس عدد من المعامل ، واستقدمعدد منهم لتدريب أبناء فارسواعدادهم لتشغيل تلكالمعامل • كما استقدمعددا آخر

منهم للتعليم فى المدارس المهنية والصناعية • على ان متوجا بريطانيا واحدا لم يرض الشاه عنه بديلا ، ذلك هو الطائرات البريطانية • فتنفيذا لرغبته اقامت احدى الشركات البريطانية مصنعا للطائرات فى طهران أشرف على ادارته مهندسون بريطانيون يعاونهم عمال وطنيون وقد بنى هـذا المصنع طائرات بريطانية التصميم بريطانية المحركات •

وفى عام ١٩٣٥ اصدر رضا شاه قانونا حتم تسمية بلاده بايران وشعبه بالايرانيين • ولذا فاننا سندعو فى الفصول القادمة من الكتاب ، هذه البلاد بالاسم الجديد أى ايران وابنائها بالايرانيين •